



[www.helmelarab.net](http://www.helmelarab.net)

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل . واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

## ١ - الجحيم ..

اقتربت لحظة شروق الشمس ، على سفوح النمامة الغيدالى ، فى أطراف ميناء (نيويورك) الأمريكى ، دون أن يغمض لـ (منى تولى) جفن ، طوال ليلتها الأولى ، فى تلك الزلزلة الضيقة من الطابق الثانى للسجن ، وهى تسترجع ذكريات الأحداث العنيفة ، التى ألمت بها فى هذا الموقف العصيب ..

كانت أول مهمة لها ، مع (حسام) ، بعد اختفاء واعتزال (أدهم صبرى) ، فى مزرعة (سوتيا جراهام) ، فى (كيبواوا) المكسيكية ..

ولم تكن بالمهمة البسيطة ..

لقد أوفقت المخابرات الأمريكية بواحد من أخطر العملاء المصريين ، فى قلب ذلك الجهاز الأمريكى البالغ الخطورة والمربة ، وبدأت فى استجوابه ، لمعرفة جسيمته ، والجهة التى ينتمى إليها ..

وكان على (منى) و (حسام) أن يتقذا العميل المصرى ، الذى يحمل اسم (هارولدوين) ، أو يتخلصا منه ، قبل أن يتكشف أمر علاقته بالمخابرات المصرية ..

وعليهما أن يواجها ثعلب المخابرات الأمريكية (جيمس إدوارد فوستر) .. أذى وأخطر رجال المخابرات المركزية ، فى العالم أجمع ..

وبدأت اللعبة ..

وعلى الرغم من صعوبة الأمر ، تمكن (حسام) و (منى) من زرع أجهزة التصنت . في بيت (فوستر) وناحية ..  
ولكن الثعلب عثف اللعبة ، وقاد بطلينا إلى الفخ ..  
وأسلطهما ..

أسفلتهما بعد صراع عنيف ، ومطارادات مثيرة ، وقال وحش ..  
وفي لحظة المفووظ أصيب (حسام) برصاصات رجال  
المخابرات المركزية ، وتم نقله إلى مستشفى السجن المركزي في  
(نيويورك) ..

أما (منى) ، فقد نعت محاكمتها بنهضة التجسس ، وأصدر  
القاضي الفيدرالى حكمه بحبسها احتياطياً ، في سجن النساء  
الفيدرالى ، لمدة أسبوعين . حتى تتم محاكمتها رسمياً ..  
وفي سجنها لم تجد (منى) أمامها سوى أمل واحد ، جعلها  
تتصل بـ (لدى) ، عبر المحيط ، لتزوي له سراً ، لم يكن يعلمه  
سواء ..

ولتطلب منه بذل قصارى جهده ، للاتصال بذلك الرجل ، الذى  
يذا لها ، في لحظاتها العصيبة ، آخر أمل للنجاة ..  
بـ (أدهم صبرى) ..

رجل المستحيل .. (١٠١)

( ج ) تعزید من التفاسیر . راجع الجزء الأول (لغة الشر) . - المجلد

رقم (٨٥) .

«استيقظان...»

دوى صوت الحارسة (هويا) ، بهذه الكلمة فى قسوة  
وصرامة . وهى تضرب القضبان زلزلة (منى) بحصاها فى  
عنف ، فانتفضت (منى) . ولقزت من فراشها فى حدة ، جعلت  
(هويا) يتنعم فى سكرية وشماعة ، وهى تقول :

- حانت لحظة الاستيقاظ أبنتها الكسولة .

مررت (منى) أصابعها فى شعرها . وهى تقول :

- أمن المعتم هنا أن يصطحب المرء بوجه تميم وصوت  
أجش ؟

علقت (هويا) حاجبها فى غضب ، وهتكت :

- سرعان ماتعتلين هذا .

أجابتها (منى) ساخرة :

- ربما بعد أن أصاب بالعمى والصمم .

قالت (هويا) فى شراسة :

- اتركى لنا هذه المهمة .

ثم تابعت ضرب القضبان بحصاها ، مستطردة فى حدة :

- ستولأها (سيريذا) .

شعرت (منى) بالقلق ، لهذا التهديد الواضح ، وغسلت وجهها  
فى تلك الحوض الصغير داخل الزنزانة ، قبل أن يفتح بابها  
إلى كترونيا ، مع باقى الأبواب ، وغادر الجميع زنزينهن ، فى  
طريقهن لتناول طعام الإفطار .. وفى القاعة المخصصة لهذا  
الغرض ، لاحظت (منى) أن (هويا) قد انتحلت جانباً مع  
(سيريذا) ، وراحت تتحدث معها فى عسيرة . وهى تشير إليها ..



ولم تسمع (منى) حرفاً واحداً، من حديث (هويّا)  
(سيريّا). ولكنها أدركت، من تلك الإهتمام الوخشيّة  
الجليلة، التي ارتسمت على شفطي الأخيرة، وهي ترمقها بنظرة  
ساحرة، أتىها المقصودة بهذا الحديث، وخاصة عندما غابت  
(هويّا) القاعة، واتجهت (سيريّا) نحوها هي في بطن  
بإهتمامها التي تجمع ما بين السخرية والوخشية، وجلبت إلى  
جوارها، وهي تحمل طبق الحساء المسخن، وقالت :  
- يبدو أنك أغضبت (هويّا).

تظاهرت (منى) باللامبالاة، وهي تقول :  
- فلتذهب إلى الجحيم.

أطلقت (سيريّا) ضحكة ساحرة قصيرة وخافتة، وقالت :  
- هذا لا يذهب إلى الجحيم إلا العنيد لمصيب.

هزت (منى) كتفيها، وتناولت رشفات الحساء المسخن في  
بطء وحذر، وهي ترمق (سيريّا) بنظرة جانبية، فأضافت هذه  
الأخيرة :

- ويبدو أنك من تلك الطراز.

غمضت (منى) :

- نعم .. يبدو ذلك.

ثم التفتت إليها، مستطردة في صرامة :

- ولكن لست أظنني من سيذهب إلى الجحيم.

قالت (سيريّا) في سخرية :

- حلاً ١٧

ثم أضافت في شرادة مباحثة :

- إننا لن نقتك على الفور ..

ابتسمت (منى) في سخرية، وقالت :

- بالكرم !

استطردت (سيريّا) : في حدة تشب عن غضبها :

- فلقد أمرتنا (هويّا) بتفقد مطلبك أولاً ..

سألتها (منى) في دهشة :

- أي مطلب هذا ؟

هتكت (سيريّا) :

- العصى .

قالت لها وهي تستل من طيات ثيابها مديّة قصيرة رفيعة،

وتنفض بها على الهدف ..

على عين (منى) ..

\* \* \*

لعظة عجيبة من الصمت مضت، بعد أن التقت عينا (أدهم

سبري) بعين (قدري) ..

لعظة انتفض خلالها جسد (قدري)، وارتفع حاجباه،

وترقّق النع في عينيه، قبل أن يهتف بصوت مرتجف،

احتشنت فيه كل العفالات ومشاعر الدنيا :

- أنت حي .. أنت حي ..

وفي اللحظة التالية تفجّرت النموع من عينيه، وهو يعنوي

(أدهم) بين ذراعيه، ويبكي في حرارة، مرغداً :

- حمدا لله .. حمدا لله .. انتى لم أصدق (منى) .. قطعت  
المسافة من (القاهرة) إلى هنا ، وأنا أشك فى كل حرف سمعته  
منها .

كان (أدهم) يشعر بتأثر شديد . للقاه (قدرى) ، ولكنه قاوم  
انفعاله فى شدة ، وهو برئت على كفى (قدرى) ، قائلا :  
- ما أشد سعادتى برويتك يا صديقى .. يبدو أنك تزداد  
بدانة ، مع مرور الوقت .

ابتعد عنه (قدرى) خطوة ، وأمسك كتفيه ، وهو يملا عنيه  
بصورته ، هاتفا :

- وأنت أزدت شعوبيا ونحويا بأعز الأصدقاء .. يبدو أن  
منأخ (المسكوك) لا يتأسيك .

غمغم (أدهم) فى مرارة :

- كل شيء هنا لا يتأسينى يا صديقى .

هتف (قدرى) :

- لماذا تهلى هنا إذن ؟ لم لا تعود إلى وطنك ، وعملك ؟ ..

لماذا جعلت الجميع يتصورون أنك لكيت مصر عك ؟

أجابته (سونيا) ، من خلف (أدهم) ، فى حدة :

- يمكنك اعتباره كذلك .

تطلع إليها (قدرى) فى شيء من الاتزعاج ، وكأنما لا يمكنه  
أيذا تقبل وجودها ، كزوجة لـ (أدهم) ، فى حين تابعت هى فى  
عصبية .

- لقد استقر (أدهم) هنا ، وأصبح زوجا ، وأبيا ، و ..

قاطعها (أدهم) فى صرامة :

- اصمتى يا (سونيا) .

ابتلعت لسانها فى توتر ، واستدارت فى حركة حادة ،  
واندفعت إلى داخل القصر ، وهى تحمل طفلها ، فغمغم (قدرى) :

- إنها لم تتغير كثيرا .

قال (أدهم) فى ضيق :

- ولا يبدو أنها ستعمل .

هتف به (قدرى) :

- لماذا لا تتخلص منها إذن ؟ .. طلقها ، وعد إلى (مصر) ، و ..

قاطعه (أدهم) :

- مستحيل يا (قدرى) .. لقد فكرت فى هذا ، ولكننى وجدت

الطريق مسدودا أمام العودة .

سأله (قدرى) فى مرارة :

- لماذا ؟ .. الجميع يستطيعون حتما يعودونك إلى الصلوف .

ابتسم (أدهم) فى أسى ، وقال :

- هذه هى المشكلة يا صديقى .. عودتى إلى (القاهرة) ،

لا تعنى أبدا عودتى إلى العمل ، فى صفوف المخابرات

المصرية .. لقد انتهت هذه الأيام ، ولا يمكن أن تعود أبدا .

سأله فى أسى :

- لماذا ؟ .. إنك ما تزال شابا ، و ..

قاطعه (أدهم) :

- ليست هذه هي المشكلة يا صديقي .. إنني أستطيع العودة إلى العمل في مخابراتنا ، ولكن المخابرات نفسها لن تقبل عودتي إليها .

هم (قدري) بالاعتراض ، ولكن (أدهم) أشار إليه بالصمت ، وتابع :

- القانون يحتم عليهم هذا ، فلقد تزوجت (سونيا) ، وسواء كان هذا بارئاً أم لا ، فلقد تجاوزت مادة شديدة الأهمية ، من مواد قانون العمل بالمخابرات ، ألا وهي زواجي من أجنبية .. و (سونيا) ليست أجنبية فحسب ، بل إنني أيضاً .. أنتظهم يستطيعون إعائتي إلى العمل ، بعد أن حدث هذا ؟

صمت (قدري) لحظة ، وهو يحلق في وجهه مدعوراً ، قبل أن يقول :

- أهذا هو السبب ؟

تفهد (أدهم) في عمق ، وقال :

- يمكنك اعتباره كذلك يا صديقي .. أن عودتي إلى (مصر) تعني تعمير تاريخي بالكامل .. لن أحتفل فكرة الخروج من جهاز المخابرات لهذا السبب .. إنني أفضل اعتياري ميئاً .

هم (قدري) رأسه في شدة .. وقال :

- لا .. لا يا (أدهم) .. ليس هذا هو (أدهم صبري) الذي أعرفه .. أنت دائماً أقوى من هذا .. أنت لا تخطئ أبداً .

رفع (أدهم) حاجبيه ، هاتفاً :

- لا أخطئ أبداً .. من وضع في رأسك هذه الفكرة يا (قدري) ؟ .. الله (مبحانه وتعالى) وحده ، المتصوم من الخطأ ، أما البشر .. أي بشر ، فلا بد لهم من الخطأ .. لأنهم بشر .

ابتسم (قدري) في ارتياح ، وقال :

- رائع يا صديقي .. رائع .. إنك ما تزال على عهدك بك ، عادلاً ، حازماً ، و ..

بقر عبارته بقية ، وهتف وهو يضرب جبهته براحتة :

- يا إلهي ! لقد جرفتني رؤيتك إلى تلك الأحاديث الجانبية ، حتى كنت أنسى السبب الرئيسي ، الذي أتى بي إلى هنا .

ثم عاد يصيح كقلى (أدهم) في قوة ، مستطرداً بالفعال جارفاً :

- (منى) في خطري يا (أدهم) ... بل (مصر) كلها في خطر .. (مصر) تحتاج إليك ..

وكانت هذه هي الكلمات السعيرية ، التي أبقيت العقلاق الكامن في جسد (أدهم صبري) ..

الرجل ..

رجل المستحيل ..

\*\*\*



تولفت سيارة أمريكية كبيرة ، في تلك البقعة المقفرة ، على مشارف (نيويورك) ، وهبط منها (فرانك جير) ، مدير قسم مكافحة الجنس . في المقابر المركزية الأمريكية ، وهو يخلى عينيه بمنظار شعسى داكن ، ويرفع ياقة معطفه ، ليحجب بها الجزء الأكبر في وجهه . ويتلفت حوله في توتر ملحوظ ، ولم تعض دقيقة واحدة ، على توفقه في هذا المكان ، حتى ظهرت سيارة أخرى ، من طراز مماثل ، واقتربت منه في هدوء ، حتى تولفت ، وهبط عليها رجل قصير ، خاد القمصان ، له أنف معلوف بشدة ، مما جعله أشبه بصفر عجوز ، واقترب من (فرانك) ، وحياه بإشارة عاجلة من يده . قبل أن يقول :

- لقد أفلقتي بالفعل يا (فرانك) .

تلفت (فرانك) حوله مرة أخرى في توتر . وقال :

- الأمر يستحق القلق يا (إيزاك) ، فمن الواضح أن المصريين يلعبون لعبة بالغة الخطورة ، فعلى الرغم من وقوع اثنين منهم في الأسر ، بالإضافة إلى (مارولد) ، إلا أن الجميع يؤمنون بأن ثلاثتهم من (الموساد) .

عقد (إيزاك) حاجبيه في شدة ، وهو يقول :

- ومن وضع هذه الفكرة في رؤوسهم ؟

أجابته (فرانك) في توتر :

- لعبة المصريين .. من الواضح أنهم أجادوا تسليقها ، بحيث بدا جميع أفرادهم وكأنهم من رجالنا .. أعلى من رجالكم . غمغم (إيزاك) :

- لا فارق يا (فرانك) .

ثم حك ذقنه في عصبية . قبل أن يستطرد :

- المهم أن نحبط لعبتهم وتكشف أمرهم .

سأله (فرانك) في حدة :

- كيف ؟ .. قلت لك إن ..

قاطعته (إيزاك) :

- دع هذا لي .

ثم عاد حاجباه يتعقدان ، قبل أن يتابع :

- لقد اعتدت اللعب مع المصريين ، منذ حرب عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين ، وأنا خير بوسائلهم وسبلهم ، وسألعب معهم هذه اللعبة يا صديقي .. وحتى النهاية ..

\*\*\*

لو افترضنا أن عالم السجن له قانون واضح وصريح ، تداريه الأمور ، فمن المؤكد أن هذا القانون هو قانون القوة .. القوة وحدها ..

ففي كل السجن ، وبالذات في السجون الأمريكية ، تتكون دائما جماعات قوية ، تكون لها الكلمة العليا ، والسيطرة التامة ، داخل جدران السجن ..

و (سيرينا) واحدة من مجموعة القوة ، في السجن النسائي  
الفيدرالى ..

بل هي على رأس المجموعة ..  
الزعيمة ..

وما ارتكبته (سيرينا) من جرائم داخل السجن ، يشوق  
بشرات المرات تلك الجرائم ، التي أتت بها إليه ..

إنها كتلة من القسوة والصرامة والخط والقدارة ..  
كتلة بشرية ، لا تعرف الرحمة ..

وهذا ما تواجهه (منى) ..  
وما كانت تتوكله ..

من حسن الخط ..

لقد انقضت (سيرينا) بمنيتها الصغيرة على صين (منى) ،  
تنفيذا لأوامر (هوبا) ، ولكن (منى) تحركت في سرعة  
مناسبة ، ككتلة مغارات مصرية ، فأمنكت معصم (سيرينا) ،  
قبل أن تبلغ العتبة عينها ، ثم التفتت طبق الحساء الساخن ،  
وألقته في وجه اللانجية ، التي أطلقت صرخة ألم عالية ،  
وأقلت العتبة من يدها ، صائحة :

.. سافتك .. سافتك أيتها اللعينة الـ ..

ولكن قبضة (منى) أخرجتها ، بلقمة قوية في أسنانها ،  
سقطت لها (سيرينا) أرضا ، وسرت معها موجة من التوتر  
العنيف في المكان ، وهبت بعض المسجونات ، المؤسيدات



ولكن (منى) تحركت في سرعة مناسبة ، ككتلة مغارات مصرية ،  
فأمنكت معصم (سيرينا) ، قبل أن تبلغ العتبة عينها ..



لـ (سيرينا) ، استعدادا للاشتباك مع (منى) ، التي قلزت من مقعدها ، واتخذت وضعا قتاليا ، قبل أن يدوى صوت المأمور في القاعة :

- كللى -

توافن جميعهن في أن واحد ، ليعا عدا (سيرينا) ، التي صرخت غاضبة :

- لقد ضربتني بالعصا السلخون في وجهي .. لقد أرادت تشويهي .. إنها ..

لطمها المأمور في صرامة :

- كللى يا (سيرينا) .. لقد شاهدت كل شيء -

امتدَّت شفتا (سيرينا) اللطيفتان في غضب ، وممنعت بقايا العصا الساخن عن عينيها ، ورمقت (منى) بنظرة نارية ، وهي تقول :

- هكذا ؟

اتجه المدير إلى المنتضة ، التي كانت تجلس عليها (سيرينا) ، واتحنى يلتقط المذبة الصغيرة في حرص ، ثم قال في صرامة :

- هل تدعين أن أطلب برفع البصمات عن هذه المذبة ؟ قلت في عصبية :

- أنت وشأنك -

أخرج من جيبه حقيبة بلاستيكية شفافة ، ألقي داخلها المذبة في حرص ، وهو يقول :

- نعم .. ربما أقفل -

ثم وضع الحقيبة في جيبه ، واعتدل في حزم ، وهو يقول :

- والآن عدن إلى تناول طعام الإفطار .. سأراقب القاعة طوال الوقت - وويل لمن تحاول إثارة الشغب من جديد -

قال كل هذا ، دون أن يوجه كلمة واحدة إلى (منى) ، ثم غادر المكان في خطوات خاسمة ، وترك القاعة في صمت وسكون ، استغرقا دقيقة واحدة ، عانت بعدها كل السجينات إلى مقاعدهن ، واتجهت (سيرينا) إلى حيث تجلس (منى) ، واتحنت على أنفها ، فأنثت في شراسة غاضبة وحشية :

- لقد وقعت الحكم بإعدامك أيها الحفورة ..

وانصرفت ميتعدة في عصبية واضحة ، تاركة (منى) خلفها ، وقد أدركت أنها على حق ..

لقد ناصبت السجينات العداء ، منذ ساعاتها الأولى في السجن ..

ووقعت حكم إعدامها ..

\* \* \*

استمع (أدهم) إلى (قدري) في اهتمام بالغ ، وهو يعيد على مسامعه كل ما روت له (منى) ، ثم قال في انفعال :

- إذن لـ (منى) و (حسام) في خطر -

أجابه (قدري) :

- بل (مصر) .. (مصر) كلها في خطر يا (أدهم) -

لم يطل تفكير (أدهم) ..

بل يفكر أن تقول : إنه لم يفكر قط ..

لقد اتخذ قراره على الفور ، وهب واقفاً إلى حزم ، وهو يقول  
( قترى ) :

- هيا يا صنيقي .. سهرنا على الفور .

اقتعمت (سونيا) الحجرة بقعة ، صالحة :

- لا يا (أدهم) .. إنك لن تذهب .

التفت إليها (أدهم) في غضب شديد ، وهتف :

- أكثرت تجسسين علينا يا (سونيا) ؟

صاحت :

- إنك زوجي ، ومن حق أن ..

قائلها في غضب :

- ليس من حقك أبداً التطفل في شئونى .

صاحت في احتجاج :

- إننى زوجتك ، ولن أسمح لك بالذهاب إليها .

صرخ :

- سماعين لى ؟

ثم أمسك معصمها فجأة في حدة ، مستطرداً :

- يبدو أن الأمور قد اختلطت عليك يا (سونيا جراهام)

فصورت أننا زوجان سعيدان ، أو عاشقان يستمتعان وحبهما

بالسعادة والهناء .. كلا يا (سونيا) .. استيقظى من حلمك

السقيف هذا ، وواجهى الحقيقة كما هى .. لقد تزوجنا بخدعة

حقيرة منك .. خدعة من شائتها إبطال الزواج فعلياً .. وهذا

لا يمنحك أية حقوق تجارية .

قالت في ثورة :

- إننى فستعود إليها .. إلى (منى) .

أجابها في صرامة :

- اسمعى يا (سونيا) .. أنت تعلمين أن (منى توفيق) هى

المخلوقة الوحيدة ، فى العالم أجمع ، التى أحمل لها فى قلبى كل

الحب ، ولن أترنذ لحظة واحدة فى إلقاء نفسى فى قلب الجحيم .

لو اقتضى الأمر ، استجابة لنداء واحد منها .

هتف (قترى) في سعادة :

- ليتها سمعت تقول هذا .

أما (سونيا) ، فاستعادت فى لحظة كل شراستها وعظفها ،

وهى تهتف :

- ستندم يا (أدهم) .. ستندم أشد الندم ، لو أنك ذهبت إليها

الآن .

قال فى صرامة غاضبة :

- بل أنت ستندمين أشد الندم ، لو لم تهتغسى لساتك .

وتصمتى تماماً يا (سونيا) .. إننى سأذهب .. سأذهب لأن

وطنى ينادىنى ، ولأننى أتمنى أن تمحو استجابتى لنداء الوطن

عار زواجى منك .

رفعت فى دعر :

## ٢- كل الأطراف ..

هذا الاهتمام والتركيز الشديد على وجه (جيمس فوستر) ، وهو يضع أوراق اللعب بعضها فوق البعض . في دقة متناهية . لينتهي فصر أوراق اللعب الشهير (الكوتشينة) ، وتابعة أحد رجاله في إعجاب واندهاش . وهو يتساءل عن تلك الأعصاب القولالية ، التي تمكنه من أداء ذلك العمل الدقيق ، في ظل ظروف شديدة التوتر كهذه . وهم ينقل ذلك التساؤل ، من أعضائه إلى لسانه ، لولا أن أتبع صوت (داني) ، في اللحظة نفسها ، عبر جهاز اتصال داخلي خاص ، وهو يقول :

- لقد وصلت أيها الرئيس .

تغلي (فوستر) من اهتمامه الشديد بكسر أوراق اللعب ، وانتقلت إلى جهاز الاتصال . قائلاً :

- انقل على الفور ..

لم ترض نصف الدقة ، حتى دخل (داني) إلى الحجرة بجسده الضخم ، وتطلع في حذر إلى الرجل الجالس في حجرة (فوستر) ، فأشار إلى الرجل . وقال :

- اتركنا وحدنا يا (ألبرت) .

أسرع الرجل يغادر الحجرة ، ويفلق الباب خلفه في إحكام . فسأل (فوستر) مساعده في لهفة :

- عار .. أنت غير زواجك مني عازيا يا (أدم) ؟  
تجاهل سؤاليها . وتابع بنفس الصرامة القاضية :  
- ستجلسين هنا يا (سونيا) ، وسترعين طفلنا ، كأي زوجة مفلسة ، حتى أنتهي من مهمتي ، وأعود إلى ابني .  
ارتجفت مخلقة . وهي تقول :

- إلى ابنك فقط ؟

اعتدل قائلاً :

- نعم يا (سونيا) .. فقط .

ثم أشار إلى (فيري) ، مستطرداً في حزم :

- فيها بنا يا صديقي ..

تجسدت (سونيا) في مكانها ، وهي تتابعهما ببصرها بنصرهات ، ثم لم يلبث حاجبها أن اعتقد في غضب ، وهي تقول في خفوت مسلخ شرس :

- قلت لك أنك ستندم يا (أدم صبري) .. ستندم أشد الندم .

ورفعت أفكارها كقطعة غاضية ..

ومتوحشة .

\* \* \*





- حسن .. ماذا فعلت ؟

مال (داني) نحوه ، وقال :

- لقد تنبهت إلى أطراف المدينة ، وحدث ما توقعته  
ياسموني .

برقت عينا (فوستر) ، وهو يقول :

- هل التقي بأحدهم ؟

أخرج (داني) من جيبه عدة صور فوتوجرافية ، وضعها  
أمام (فوستر) ، مجيباً :

- (إيزاك باراهودا) .. ضابط موساد برتبة عقيد ، يعمل في  
السفارة الإسرائيلية ، كمنحى عسكري ، تغطية لعمله في  
(الموساد) .

تطلع (فوستر) في اهتمام إلى الصور ، التي تنقل لحظات  
لقاء (فرانك) و (إيزاك) ، وبرقت عيناه مرة أخرى ، قائلاً :

- (فرانك جير) عميل إسرائيلي .. ! .. بالها من مفاجأة .. !  
ستكون لفيلة الجهاز لهذا العام .

انقسم (داني) - قائلاً :

- جاسوسان بضربة واحدة .. هذا لم يحدث منذ عشرة  
أعوام على الأقل .

بدأ الضيق لحظة على وجه (فوستر) ، وهو يقول :

- ولكن إعلان الأمر أن يكون سهلاً أو بسيطاً يا (داني) ،  
لـ (فرانك) وليس قسم مكافحة التجسس ، وأن تسهل إدانته  
بتهمة التجسس ذاتها ، وإن كان لغاؤه بـ (إيزاك) نقطة ضده .

قال (داني) في حماس :

- ويؤكد انتماء (هارولد دين) للموساد .

قال (فوستر) :

- أو بنفيه .

عقد (داني) حاجبيه ، قائلاً :

- كيف ؟

دنى (فوستر) بسبابته على طرف مكتبه ، وقال :

- الشيء الوحيد المؤكد ، هو أن (فرانك جير) جاسوس  
لـ (الموساد) ، ولقد كنت أتوقع هذا منذ زمن طويل ، هؤلاء  
القوم يتجنّبون حتماً بعضهم إلى البعض ، ولكن النقطة هنا هي  
السبب ، الذي اتصل من أجله (فرانك) بـ (إيزاك) هذا .. أهو أن  
أفراد (الموساد) قد سقطوا . ومن الضروري البحث عن  
وسيلة ، لتخليصهم ، أو على الأقل لتغليص (الموساد) من هذا  
المأزق ؟ أم أن من سقطوا لا ينتمون إلى (الموساد) ، ومن  
الضروري إثبات ذلك ؟

ثم تراجع في مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو  
يتابع ، وكأنه يتحدث إلى نفسه ، لا إلى (داني) الواقف أمامه :

- هذه هي المشكلة .. المشكلة الحقيقية .

\* \* \*

التقى حاجباً مدير مستشفى المسجون المركزي ، وهو يتطلع  
إلى البطاقة البلاستيكية الأنيقة بين أصابعه ، وتأمل صورة  
الشاب الوسيم فيها ، قبل أن يرفع عينيه إلى صاحبها ، قائلاً في  
ضيق واضح :

- ولماذا يتم إرسالك في هذه الأيام بالذات يادكتور (جرين) ؟

ابتسم الشاب الأشقر ، ذو العينين الزرقاوين ، وقال في هدوء :

- لست أظننى أمثك جواباً لهذا ياسيدى .. لقد اتصلوا بى ، وطلبوا منى الحضور إلى هنا ، ولخص ذلك الجاسوس ، و ... قاطعه المدير فى حدة :

- والتدخل فى شئوننا .

رفع الشاب حاجبيه ، وقال :

- شئوكم ١٢ .. لست أرى ما الذى ..

قاطعه المدير مرة أخرى :

- لقد سمعت هذا .. منعت تدخل رجال المخابرات فى عملنا .. لقد ألقوا القبض على هذا الشاب ، ومهمتهم تنتهى عند هذا الحد ، وليس من حقهم إرسال أحد مندوبيهم إلينا . قال الشاب فى ارتباك :

- يبدو أنه هناك سوء تفاهم واضح ياسيدى .. إتنى لست مندوباً للمخابرات المركزية .. لقد طلبوا تعاونى فحسب ، و ... وللمرة الثالثة قاطعه المدير فى حدة :

- فليكن .. لن أعرض .

وازدد لعابه فى عصبية شديدة ، قبل أن يضيف :

- ما هو ذا المستشفي كله أمامك .. افحصى الشاب ، أو اقلته .. لن يعطينى هذا أبداً .

نهض الشاب ، وهو يقول فى ارتباك :

- حسن .. شكراً ياسيدى .. سأحاول إنهاء مهمتى بأقصى

سرعة ، مادام هذا بضايقتك هكذا .

لوح المدير بكفه ، وهو يهتف :

- المفل ما يحلو لك .

وأشار إلى أحد رجاله ، مستطرداً :

- هيا .. اصحب الدكتور (جرين) إلى حجرة الجاسوس .

اصطحب الرجل الدكتور (جرين) ، عبر معرات مستشفي

المسجن ، مجتازين عدداً من البوابات الحديدية المحصنة ، حتى

بلغا حجرة (خسام) ، التى يقف على بابها حارسان مسلحان ،

وقال الرجل :

- ها هي ذى حجرة الجاسوس يادكتور (جرين) .. أتحب أن

أصحبك إلى الداخل ؟

هز الشاب رأسه نفيًا ، وقال :

- إتنى أفضل للتحدث إليه وحدى .. لقد استعاد وعيه ..

أليس كذلك ؟

أجابه الرجل :

- إلى حد ما .. إنه يستطيع أن يسمعك ويحسب أسلكتك فى

سعيوة ، ولكنه لا يلبث أن يذهب مرة أخرى فى غيبوبة

عميقة ..

بط الدكتور (جرين) شفتيه ، وقال :

- فليكن .. سأحاول التجاوب مع هذا ..

ودخل إلى حجرة (حسام) ، وأغلق بابها خلفه ، ووقف  
يتطلع لحظة إلى جسد (حسام) ، وهو يرقد على فراشه شبه  
نائم ، ثم اعتلت قامته ، واتجه إليه في هدوء ، وانحنى بدعا  
حاجبيه بأصابهما في بطنه وقوة ، حتى أطلق (حسام) أهة  
خافته ، وفتح عينيه ينطلق إلى الشاب لحظة ، قبل أن يبتسم  
ساخرا في تهلك ، ويغمغم :

- ما هذا ؟ .. شيطان جديد .. في هذا الجحيم الهزلي ؟

أجابته الشاب في هدوء :

- إن صديق يارجل ..

أسبل (حسام) جفنيه في إرهاق واضح ، وهو يقول ساخرا :

- صديق هنا ؟! .. أهى مزحة سخيفة ، أم دعاية قات

أوانها ؟

ربت الشاب على كتفه ، وقال :

- لا هذا ولا ذاك .. ألم تتبني إلى اللغة التي نتحدث بها ؟

اتصفت عينا (حسام) ، وخيل إليه أنه قد وقع في فخ محكم ،

علما القية إلى أنه يتبادل الحديث مع ذلك الشاب باللغة

العربية ، وباللهجة المصرية صميعة ، إلا أنه تماك نفسه في

سرعة ، وقال بالعصرية ، على الرغم من نهائكه :

- إنني أجاريك في أسلوبك قصب .

ابتسم الشاب ، وانحنى نحو (حسام) ، قائلا :

- لا داعي للتجامل والتخادع يا صديقي .. كلانا يعلم أنك

مصري صميم ، يفخر به وطنه ومجتمعه .. مصري يحمل اسم

(حسام) .. الرائد (حسام) ، ويحمل أيضا اللقب (ن - ٢) ،  
وزميلته تدعى (منى توفيق) .

حاول (حسام) أن يبتسم في مرارة ، وهو يقول :

- إذن فقد أصبح اللعب بأوراق مكشوفة .

ربت الشاب على كتفه مرة أخرى ، وقال :

- ليس بعد يا صديقي .. إننا نلعب في فريق واحد .. صحيح

أننا لم نلتق من قبل ، ولكنني كنت أجعل فيما مضى لقبنا شبيها

بلك .

التفت حاجبا (حسام) ، وحاول أن يفتح عينيه عن آخرهما ،

وهو يقول :

- لقبنا شبيها ؟! .. من أنت ؟ .. من أنت يارجل ؟

ارتفعت على شفطي الشاب ابتسامة هائلة ، وهو يقول :

- اسمي (أدهم) يا صديقي .. (أدهم صبرى) .

اتصفت عينا (حسام) في ذهول ، وهو يهتف :

- الأسطورة !!

ثم استدرك في سرعة واتفعل :

- ولكن هذا مستحيل ! .. لقد لقيت مصرعك ، منذ ما يقرب

من العام ونصف العام .. مستحيل !!

مس (أدهم) جبهته في رفق ، وقال :

- اهذا يا صديقي .. اهذا .. لذلك قصة طويلة ، ربما أسكنني

إن أفضها عليك فيما بعد ، أما الآن فلنا أحتاج إليك .



سأته (حسام) ، والنوار يحيط برأسه في شدة :

- فبم تحتاج إلى ؟

أجابته (أدهم) في اهتمام :

- إنني أعلم أنكما هنا - أنت و (منى) - في محاولة لتخليص

(هارولد دين) ، وأنكما تتصلان الآن شخصية عبرة

اسرائيليين ، ولكنني أجهل التفاصيل ، وأريد منك أن تغيرني

بكل ما لديك .. كله يا (حسام) .

ترقد (حسام) لحظة ، قبل أن يقول في حذر :

- أنتظن أنه من السهل أن أفعل هذا ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

- أعلم أنه ليس من السهل إقناعك بما أقول ، فمن حقد

اعتبار كل هذا مجرد خدعة ، ولكنني سأمنحك دليلاً لا يقبل

الجدل ، على أننا نعمل ضمن فريق واحد ، وبعدها ستغيرني كل

ماتيك .. اتفقنا ؟

نظع إليه (حسام) لحظة في تهالك ، وغمغم :

- اتفقنا .

وبدا الحديث القلبي بينهما ..

\*\*\*

« أنت أيتها الجاسوسة .. »

انطلقت (هوى) تلك الصيحة في غضب واضح ، وسط قاء

المسكين ، فالتفت إليها (منى) في هدوء ، وقالت :



التفتي حاجبا (حسام) ، وحاول أن يفتح عينيه عن آخرها ، وهو يقول :

- لفتا شيئا .. من أنت ؟

- ماذا تريدان يا أفعى السجن ؟  
 أجابتها (هويا) في لهجة استفزازية ، وهي تضرب راحتها اليسرى بعصاها ، في إلقاء عصبي رتيب :  
 - إذن فأنت تعلمين أنك جاسوسة .  
 غلقت (منى) ساعديها أمام صدرها ، وقالت في برود :  
 - وهل سبق أن أنكرت هذا ؟  
 بدا الغضب على وجه (هويا) ، وهي تقول في عصبية :  
 - أنتعلمين أنني أستطيع تحطيم رأسك بعصاي ، دون أن يتحرك مخلوق واحد هنا لحمايتك ؟  
 ابتسمت (منى) في سخرية ، وقالت :  
 - بل أعلم أنني أستطيع اقتلاع لسانك من حلقك ، قبل أن ترتفع بك لضربي ، دون أن يجد أى مطلق الفرصة ، لإطلاقك منى .  
 نلت من (هويا) حركة عصبية عنيفة ، وكأنها ستضرب (منى) بعصاها في ثورة ، ولكن يبدو أنها تفترت فجأة ما فعلته (منى) بـ (سيرينا) ، في قاعة الطعام ، فتراجعت في سرعة ، وارسم غضب الدنيا كله على وجهها ، وهي تقول :  
 - فليكن أيتها الجاسوسة .. إن تفلتي في كل مرة ، ثم استدارت لتصرف ، وهي تضيق في حدة :  
 - لو كانت هناك مرات أخرى .  
 وعلى الرغم من ابتسامة (منى) الساخرة ، التي تعلمتها من (أدهم صبرى) ، والتي لم تغرق شفيتها ، إلا أنها - في أصالتها - كانت تشعر بالكثير من القلق والتوتر ..

وكان السؤال نفسه يملأ كيائها حتى النفاخ ..  
 أملاك حقا مرات أخرى ١٢ ..  
 دار السؤال في ذهنها ، دون أن تدرى أو تنتبه ، إلى أن إحدى رقيبكات (سيرينا) كانت تتجه إليها في بطة ، وهي تغطي خلف ظهرها خنجرًا ضخمًا ..  
 وفجأة أمسكت تلك المرأة كتف (منى) من الخلف ، وصرخت :  
 - اذهبي أيتها الجاسوسة .. اذهبي إلى الجحيم .  
 وهوى الخنجر على ظهر (منى) ..  
 في موضع القلب تمامًا ..

\* \* \*

ارتسم مزيج من الضيق والقلق ، على وجه مدير السجن المركزي ، وهو يتطلع إلى (أدهم) ، الذي وقف أمامه هادئًا ، وقال في عصبية :

- حسن .. هل انتهيت من عملك السقيف يا رجل ؟  
 أجابه (أدهم) في هدوء :  
 - لم يكن من السهل فحص ذلك الجاسوس ، فهو لا يستعيد وعيه لأكثر من لحظات ، ثم يذهب بعدها في غيبوبة عميقة .  
 سأله المدير في حدة :  
 - المهم هو هل انتهيت ؟  
 أجابه (أدهم) في هدوء :  
 - نعم .. لقد انتهيت من عملي تمامًا .. هل يمكنني الانصراف ؟

لوح المدير بكفه ، هاتفا :

- بكل سرور .. انلى ..

قاطعه رنين الهاتف ، فالتقط ساعته بحركة عصبية حادة ،

وقال :

- هذا مدير السجن المركزي .. من المتحدث ؟

التفت حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إلى اسم محذاه ، ثم قال :

فى حدة :

- اسمع يا (فوستر) .. إنتى أمنك من التفتل فى شملوننا

مرة أخرى .. كان بإمكانى أن أطرده ذلك الطبيب ، الذى أرسلته

إلى هنا ، و ...

اتسعت عيانه بفتة ، وهو يحنق فى وجه (أدهم) ، مرثدا :

- زالف ١٢ .. طبيب زالف ١٢

أسرعت يده نحو مسدسه ، ولكن (أدهم) تحرك فى سرعة

أكثر ، ففلزت قبضته إلى فك المدير بلكمة عنيفة ، دفعت الرجل

إلى الخلف ، وضربت رأسه بالحائط وارتد ، فهوى على مكتبه

فأكد الوعى ..

كل هذا استغرق ثانية واحدة ، وفى الثانية الأخرى كان

(أدهم) يلتقط سماعه الهاتف ، ويقول فى صوت مدعش ، يشبه

صوت المدير تماما ، ويتفلس الاتفعال :

- معذرة يا (فوستر) .. لقد ارتكبتى المفاجأة لسلط الهاتف

أرضا .. ولكن أخبرنى .. أوافق أنت من أنه طبيب زالف ٢

أجاباه (فوستر) فى حدة :

- بالتأكيد .. مر بالقاء القبض عليه على الفور ، لو أنه

ما يزال لديك ، وسأحضر بأقصى سرعة .

قال (أدهم) :

- ستجده عندما تصل .

وأنتهى المحادثة بسرعة ، ثم اعتدل ، وعذل جلته ، وفتح باب

الحجرة فى هدوء ، وخرج إلى مساعد المدير ، الذى قادته من

قبل إلى حجرة (حصام) ، وقال :

- يبدو أنك الذى سيؤمّننى إلى الخارج أيضا يا صديقى .

ابتسم الرجل المتسامة آتية ، وقال :

- لا بأس .. لن يضيرنى هذا .

سار (أدهم) إلى جواره فى هدوء ، فى طريقهما إلى خارج

السجن ، وسأله (أدهم) ، ولما يجتازان إحدى البوابات

الخارجية الثلاث :

- هذا السجن بالغ الأهمية ، هل نعطىموه بالحراسة

اللازمة ؟

أجاباه المساعد :

- بالتأكيد .. فالسجن - كما ترى - يستحيل اختراقه ، فله

ثلاثة أسوار عالية ، لكل منها بوابة فولاذية واحدة ، وهناك طاقم

حراسة ضخم ، فى الفجوتين بين الأسوار الثلاثة ، وززاعة

السجين وحدها داخل معر إليكترونى خاص ، مراقب بدت آلات



تصوير تليفزيونية ، وتاذنتها لها قضبان فولاذية مزدوجة ،  
يسرى فيها تيار كهربى عتيق ، يبلغ ألفى فولت فى المتوسط ..  
هز (أدهم) رأسه ، وقال :

- عظيم .

تجاوزا البوابة الثانية ، وعبرا الفجوة الأخيرة ، التى يقوم  
على حراسها عشرون حارسا مسلحا ، وأشار المساعد إلى أحد  
الحراس ، يفتح البوابة الأخيرة ، وهو يقول لـ (أدهم) :

- اظمن ياسيدى .. تم يحدث أبدا ، منذ إنشاء هذا السجن ،  
أن نجح سجين واحد فى الفرار منه ، ولن يحدث أن ..

قاطعه فجأة صوت مدير المستشفى ، وهو يصرخ ، عبر  
مكبرات صوت قوية ، تنتشر فى كل مكان :

- أوقفوا ذلك الطبيب الزائف ، قبل مغادرته السجن ..  
أكرر .. أوقفوه بأى ثمن .

وقبل أن ينتهى النداء ، كان الحراس يرفضون لهوات  
أسلحتهم نحو الهدف ..

لحو (أدهم صبرى) ..

\*\*\*



## ٤ - الأسطورة ..

ثم تكن هناك فرصة للنجاة هذه المرة ..

لقد باعثت المرأة (منى) ، وانتزعها من شرودها ، لتقطعها  
بالخنجر فى قسوة ، وبلا رحمة أو شفقة ..  
ومن خلف ظهرها ..

كل هذه العوامل لم تكن لتمنح (منى) فرصة واحدة للنجاة ..  
لولا إرادة الله (عز وجل) ..

ولولا تدخل (ميرا) ..

و (ميرا) هذه زوجة عملاقة ، لمحت المرأة ، وهى تخفى  
الخنجر خلف ظهرها ، وتوجه إلى (منى) ، فنهضت من مكانها ،  
وهى تقول بصوتها الأجهش :

- اللعة !

ثم اندفعت نحو (منى) ، وفى نفس اللحظة التى هوت فيها  
يد المرأة على ظهر (منى) ، كانت يد (ميرا) تندفع نحوها ،  
وتمسك بمعصمها ، وتمنعها من طعن (منى) فى اللعنة  
الأخيرة ، وهى تقول فى غلظة :

- ألا تتوقفن عن حقارتكن أبدا ؟

التفتت (منى) فى توتر ، ورات المرأة تنتزع معصمها من  
قبضة (ميرا) ، ثم تلتفت إليها ، صالحة فى شراسة :

- ابتعدى أيتها السوداء الحظيرة .

ولكن (منى) تحركت هذه المرة ، وأمسكت معصم المرأة ، لتمسكها من طعن (ميرا) ، ولقد أدركت أن هذه الأخيرة أنقذت حياتها لسبب ما . ولوت ذراع المرأة خلف ظهرها فى عطف ، وانتزعت الخنجر من يدها ، ثم ركلتها فى ظهرها ، وأسقطتها على وجهها ، هائفة :

- ألم تسمعى ما قلته زميلتى ؟ .. أنكن لا تتولفن من حقارتكن أيذا ؟

ابتسمت (ميرا) ابتسامة واسعة ، أبرزت أسنانها البيضاء القليلة ، وهى تقول :

- عجبنا ! .. هل أصبحت قنوة ؟

أما المرأة ، فقد نهضت صارخة :

- مستعمين على فعلتك هذه أيتها الحظيرة .

استنعت (منى) للكمها مرة أخرى ، لولا أن برزت (هويا) فجأة ، صالحة فى صرامة :

- ماذا يحدث هنا ؟ .. ما هذه الفوضى ؟

ثم تولفت عيناها عند الخنجر ، الذى تمسك به (منى) ، ونالت حينها وهى تهتف :

- آه .. خنجر قاتل .. إن فانت لتعبين دور (رامبو) هنا يا فتاة\* ) .

ألت (منى) الخنجر فى حركة ماهرة ، لينفوس بين نفسى (هويا) ، وهى تقول فى هدوء مثير :

- بل كنت أدافع عن نفسى فحسب ..

صاحب (هويا) :

- لن يمكثك إثبات هذا .

قالت (ميرا) فى هدوء :

- أنا سأشهد لصالحتها .

بدت الدهشة على وجه (هويا) لحظة ، ثم انعقد حاجبها فى شدة ، وهى تصرخ :

- ابتعدن إن .. ابتعدن جميعاً من هنا .

ابتسمت (ميرا) فى استمقاع ، واتجهت إلى (منى) ، قائلة :

- هيا بنا يا صديقتى .. يبدو أن المناخ هنا لا يناسب صحتنا .

واقبتهما (هويا) فى حقد ، وضما تهتدان إلى ركن الغناء ، ثم تطلعت إلى الخنجر المغموس بين قنسيها لحظة ، وقالت :

- لا أحد يعامل (هويا) هكذا .

(ج) شخصية ابتكرها الممثل الأمريكى ، الإيطالى الأصل (سلفستر ستالون) ، وهى تمثّل لى روى ، من القوات قتلى شاركت فى حرب (فيتنام) .  
مساب باسشاراب تلس ، ويتعامل بطف وصرامة مع كل ماهرلة ، ولقد ظهرت سلسلة الأفلام لشخصية (رامبو) ، عكفت كلها نجاحات هائلة ، فى العالم كله .

وانحلت لتتلقط الخنجر ، لولا أن ارتفع من خلفها صوت  
(سيرينا) ، وهي تقول في صوت خافت :

- حذار .

اعتذلت (هويا) ، والتفتت إليها في حدة ، هاتفة :

- ماذا تريدن يا (سيرينا) ؟

أشارت (سيرينا) إلى رأسها ، وقالت :

- إنها فكرة يا عزيزتي (هويا) .. فكرة عبقريّة ، خلّزت  
فجأة إلى رأسي ، عندما رأيت تلك الجاسوسة الحكيمة ، وهي  
تمسك الخنجر بيدها .

سألتها (هويا) في عصبية :

- أية فكرة هذه ؟

ابتسمت (سيرينا) في زهو وثقة ، وهي تقول :

- فكرة رائعة ، ستجعلنا نصرب عسلورين بحجر واحد ..  
نعاقب (جيرا) اللعينة على تعذيبها لنا ، ونؤدب تلك الجاسوسة  
في أن واحد ..

راحت الفكرة - (هويا) ، وأشبعت موجة العطف والكرهية في  
أعماقها ، لمسأت في لهفة :

- كيف يا (سيرينا) ؟ .. كيف ؟

أشارت (سيرينا) إلى الخنجر ، قائلة :

- بواسطة هذا .

وابتسمت ..

ابتسمت ابتسامة شيطانة ..

★ ★ ★

ثم بكّد تداء مدير مستشفى السجن بترنّد ، عبر مكبرات  
الصوت ، حتى ارتفعت فوهات أسلحة الحراس نحو (أدهم) ،  
وتراجع مساعد المدير ، وهتف في دهشة ، وهو يحث في وجهه :

- أنت ١٢ .. أنت زائف ١٢

ولكن (أدهم) مال نحوه بحركة سريعة ، وأسك منبرته  
بأصابع فولاذية ، وجذبه إليه ، وهو يقول :

- مفاجأة .. أليس كذلك ؟

وفي نفس اللحظة ارتفعت قفصه تركل وجه الحارس ، الذي  
بفتح البوابة الأخيرة ، ثم فتح البوابة بدفعة سريعة ، والحراس  
يشعرون بالترنّد والفضب ، تعجزهم عن إطلاق النار عليه ،  
وهو يحتمي بجسد مساعد المدير ، في حين ترنّد صوت المدير  
مرة أخرى ، عبر مكبرات الصوت ، وهو يقول :

- لا تسمعوا له بالفرار أبداً ، مهما كان الثمن .

واعتبر الحراس هذا النداء أمراً مباشراً ..

وأطلقوا النار ..

واختزلت الرصاصات جسد مساعد المدير ، الذي أطلق  
صرخة ألم ، واتسعت عيائه في ذعر وذهول ، في حين هتف  
(أدهم) :

- بأنكم من أوغاد !

ودفع جثة المساعد إلى الداخل ، وهو يقلع عبر البوابة إلى  
الخارج ، ويعدو نحو سيارته الرياضية الصغيرة ، التي تلقى في  
قناة السجن ..



وصرخ قائد الحراس :

- لا تسمحوا له بالهروب .. اقتلوه .. لا تسمحوا له ..

انطلقت الرصاصات خلف (أدهم) في شراسة ، ولكنه انطلق في خط متعرج جعل أصابته عسيرة ، ولفز إلى سيارته ، وانطلق بها على الفور ، كما لو أن محركها ظل دائراً طيلة الوقت ..  
واندفع حارس الفناء يطلق الحماز الخشبي الصغير ، في محاولة لمنع السيارة من مغادرة المكان ، ولكن (أدهم) اخترق الحماز في بساطة ، وانطلق بأقصى سرعته إلى الطريق ، الذي ياقود إلى المدينة ، وصوت مدير السجن يتردد خلفه في ثورة :  
- أوقفوه .. أوقفوه بأي ثمن .

كان الغضب يصرى في عروقه ، ويجرى فيها مجرى الدم ، وهو يتابع من نافذة حجرته سيارة (أدهم) الرياضية ، التي تبعد عن مبنى السجن في سرعة فائقة ، فراح يضرب كضبان النافذة بكبيضته ، صارخاً :

- اللعنة ! .. اللعنة !

وفجأة بلغ ذلك الأزيز مسامعه ..

أزيز هليوكوبتر (فوستر) ، التي تقترب من السجن ، فرفع عينيه إليها ، وراح يلوّح بذراعيه ، صائحاً :

- الحقوا به .. أوقفوه ..

لم يسمع (فوستر) كلمة واحدة ، مما نطق به المدير . ولكنه فهم الموقف كله من نظرة واحدة ، فهتف وهو يشير إلى سيارة (أدهم) ، التي تبعد عن السجن في سرعة كبيرة :

- انظر يا (داني) .. يبدو أن ذلك الرجل قد نجح في الفرار

منهم .

ثم صاح بالطيار :

- الحق به يا رجل ، وحذار أن تسمح له بالفرار ، مثلما فعلت في المرة السابقة .

استدار الطيار بالهليوكوبتر ، وانطلق بها خلف السيارة الرياضية الحمراء الصغيرة ، في حين التقط (داني) مدققاً آلية ، من خزانة سرية خاصة بالهليوكوبتر ، وهو يقول في جذل :

- لا بأس من بعض الرياضة في الصباح .

انطلقت الهليوكوبتر خلف السيارة ، ولحقت بها في سرعة ، فأبرز (داني) مدفعه منها ، وقال :

- ها .. سننهي العملية في سرعة ، ونعود لتناول طعام

الافطار .

وانهمرت رصاصات مدفعه على السيارة ، وأصابت سائقها وعلمتها الخلفية ، ولكن السيارة تابعت طريقها بنفس السرعة ، وإن بدأت تتخذ مسارا متعرجا ، في حين برز جسد (أدهم) من نافذتها ، وهو يحمل مسدسه بيده اليسرى ، ويصوبه إلى (داني) ، الذي هتف في سخرية :

- بيكك اليسرى ، وبهذا المصار المتعرج ؟! .. سأدفع ألف

دولار ، لو أمكنك أن تصيب جسم الهليوكوبتر حتى أبها

المفرور ..

ولكن (أدهم) أطلق رصاصة واحدة ..

رصاصة أصابت جسم المدفع الرشاش ، على قيد  
 ستمترات من مسافة (داني) ، الذي ألقى المدفع بحركة  
 غريزية ، وهو يتراجع داخل الهليكوبتر ، هاتفا :  
 - اللعة !

هو المدفع من الهليكوبتر ، و (فوستر) يهتف في  
 رهشة :

- لقد نجح في إصابته ١٢

صاح (داني) :

- من حسن الحظ أنه لا يجيد التصويب أكثر من هذا ، وإلا  
 حطم أصابعي .

ثم هتف بالطيار :

- ماذا تنتظر يا رجل ؟ انقض عليه .. أقتله .

ولكن (فوستر) قال :

- كلا .. انني أحتاج إليه على قيد الحياة ، حاول أن تقطع  
 الطريق عليه ، كما فعلت في المرة السابقة ..

زاد الطيار من سرعته ، وتجاوز سيارة (أدهم) ، ثم استدار  
 يواجهها ، و (فوستر) يقول في حماس :

- لو حاول المقاومة اسحقه سحطا .

ولكن سيارة (أدهم) واصلت طريقها ، وكأنها تنوى الارتطام  
 بالهليكوبتر ، مما جعل الطيار يهتف في توتر :

- إنه يواصل طريقه ، كما فعل الآخر .

صاح (فوستر) :



انطلقت الهليكوبتر خلف السيارة ، ولحقت بها في سرعة ، فأبرز  
 (داني) مدفعه منها ..

وهائذا أباح الزعيمة الجديدة .. لاتنسى هذا أبدا . عندما  
تترعين السلطة من تلك الحفيرة .

تهتفت (منى) . وقالت :

- لست أظننى أبقي إلى هذا الحين .

مالت (ميرا) نحوها . قائلة فى حلو وتعاطف . وقالتها أم  
تحدثت إلى ابنتها :

- لاتضعى هذه الفكرة فى رأسك . وإلا فيصبح هذا السجن  
أشبه بالجحيم . بالنسبة لك .. لأحد يمكنه الفرار من هنا  
يا عزيزتى .. طوال السنوات العشر الماضية . لم تنجح خشنة  
واحدة فى الفرار .. كل مايمكنك فعله هو الاستسلام لمصيرك .  
ومحاولة تقوية موقفك هنا .. هذا وحده يمنحك القوة والقدرة  
على الاستمرار هنا .

شرحت (منى) ببصرها لحظة . قبل أن تقول :

- من يدري يا (ميرا) ؟ ربما كنت أول حالة تنجح فى  
هذا .

هزت (ميرا) رأسها مشفقة . وقالت :

- قلت لك : مستحيل يا بنيتى .. مستحيل !

ترننت هذه العبارة طويلا فى رأس (منى) . وهى ترفد فى  
تلك الفراش الضيق . داخل زنزانتها الصغيرة . فى ليلتها  
الثانية بلا نوم . وتطلعت فى توتر إلى ساعة يدها الصغيرة .  
التي سمعت لها إدارة السجن بالاحتفاظ بها . وغمغت فى  
ضيق :

- لن تصلح الأمور على هذا النحو .. لابد من التوصل إلى

- أطلق نيران مدفوعك عليه إن .. هيا .. انصفه تماما .

ضغط الطيار زر الإطلاق فى عصبية ..

وانهمرت رصاصات الهايكوبتر على السيارة . و ..

وبوى الانفجار ..

\* \* \*

« لماذا أتلفت حياتى ؟ .. »

ألفت (منى) السؤال على (ميرا) فى اهتمام . وهما يسيوران  
جنباً إلى جنب . فى فناء السجن . فهزت (ميرا) كتفها  
المكتظين . وهى تقول فى هدوء :

- لست أدري .

ثم ارتفعت على شفيتها الغليظتين ابتسامة واسعة .  
وثابت . وكأنها تجد فيما فعلته شيئا من المتعة :

- اتلى هذا منذ عشر سنوات . وما تزال أمانى عشر أخرى .  
ومنذ جئت وأنا أخضع لسلطان (هوى) و (سيرينا) .. لأعد  
بمكثرة الاعتراض على ما تفعله . ولا ما تريدانه .. إيهما أسوأ  
صورة للتعاون . بين السلطة والشعب .. واليوم رأيك تضربون  
(سيرينا) فى قاعة الطعام . وتكسرين أنفها أمام الجميع ..  
ولقد رافقتى هذا .

ابتسمت فى تلذذ . وهى تتطرق العبارة الأخيرة . قبل أن  
تتابع :

- لعظمتها أدركت أن أيام (سيرينا) هنا . قد شارفت على  
الانتهاء . وأنه أن الألوان . لتولد زعيمة جديدة فى السجن .



الوقت ، وإلا فلن يمكننى التصدى لـ (سيرينا) اللعينة هذه ، فى  
المرّة القابعة .

فجأة برز وجه (سيرينا) ، خلف قضبان الزنزانة ، وهى تبسم  
ابتهامة ساخرة مشطية ، فهبت (منى) من فراشها ، وهتكت :  
- كيف غادرت زنزانتك ؟

أجابتها (سيرينا) ساخرة :

- لدى وسائلى .

ثم أشارت بيدها ، فالتفتت زنزانة (منى) ، التى تراجعت فى  
خدر وتوتر ، وهى تتخذ وضعا قتاليا ، فأطلقت (سيرينا)  
ضحكة قصيرة ، وقالت :

- اطمئنى يا صغيرتى .. لن أضرعك هذه المرة .. إننا نعد  
لك مصيرا أفضل .

لم تفهم (منى) ماتعنيه (سيرينا) ، إلا أن حاجبها الثقيا فى  
عدة ، عندما ظهرت ثلاث من هتبات (سيرينا) ، وهن يحملن  
جسدا ضخما ، ألغوه أمام زنزانتها ، فهتكت فى دعر :

- (ميرا) ١٢

كانت الزنجية العملاقة جثة هامدة . وقد انغمس الخنجر  
الضخم حتى يقيضه فى قلبها .

ومن خلف كل هؤلاء ظهرت (هوى) ، وهى تبسم فى  
شمالته ، قائلة :

- أنت منتهمة بقتل (ميرا) أيتها الجاسوسة ، ولدى شهود  
على هذا .

وابتسمن جميعا فى تشف .

\* \* \*

## ٥ - مهمة ثلاثية ..

أصابنا رصاصات الهليكوبتر كلها سيارة (أدهم)  
الرياضية ، التى انفجرت بدوى هائل ، قبل أن تبلغ الهليكوبتر  
بمتر واحد ..

ولولا جسم الطائرة المصفح ، لأصابها الانفجار بأضرار  
الاحقة ..

وصرخ (داتى) :

- اللعنة !

هتف به (فوستر) :

- أنا أيضا كنت أتمنى إلقاء القبض عليه حيا .

ولكن (داتى) صلع :

- ولكنه حى بالفعل .. لقد قلل خارج السيارة ، قبل انفجارها  
بلمحات ، وما هو ذا يعدو هناك .

اتسعت عينا (فوستر) فى النزاع ، وحاول أن يمد بصره ،  
إلى ماخلف حاجز النيران والدخان ، الذى صنعه انفجار  
السيارة ، ثم هتف بالطيار :

- ماذا تنتظر يا رجل ؟ .. الحق به ..

ارتفعت الهليكوبتر مرة أخرى ، ومع ارتفاعها بدا (أدهم)  
واضحا ، وهو يعدو نحو غاية قريبة ، فهتف (فوستر) :

- الحق به قبل أن يبلغها .. أسرع .

وانطلقت الهليوكوبتر خلف (أدهم) ، الذي واصل عبوره بسرعة كبيرة ، وأزير الهليوكوبتر يقترب منه في سرعة ..  
وفجأة توقف (أدهم) ، واستدار نحو الهليوكوبتر في سرعة ، ثم رفع مسدسه نحوها ، وأطلق النار ..  
وهتف (فوستر) في عصبية :

- سنواجهك مفاجأة أيها الحثيث ، فهذه الهليوكوبتر مصلحة ، ولكن رصاصات (أدهم) أصابت مروحة الهليوكوبتر مباشرة ، في منطقة شديدة الحساسية ، فساح الطيار ، وهو يحاول السيطرة على الطائرة ..  
- بالشيطان .. لقد أصاب المروحة .

شعب وجه (فوستر) ، وهو يتابع (أدهم) ، الذي انطلق مرة أخرى نحو الغابة ، وهتف بصوت مختلق :  
- انسفه إذن .. اقله قبل أن يهرب .  
ولكن الطيار صاح في توتر بالغ :

- لن يمكنني حتى إجادة التصويب .. إتنى أستقيم كل قوتي للسيطرة على الهليوكوبتر . لقد اختل عمل المروحة ، وقد نتحطم أرضاً .

ازداد شعوب واستفاح وجه (فوستر) ، وهو يتابع (أدهم) ، الذي اختلى داخل الغابة ، قبل أن ينجح الطيار في السيطرة على الهليوكوبتر ، ويهبط بها في سلام ..  
لقد خسر العطب هذه الجولة ..  
خسرها بجدارة ..

\* \* \*

بدا شيء من الشك وعدم التصديق ، على وجه مأمور السجن ، وهو يتطلع إلى جثة (ميرا) ، وقال في ضيق :  
- إذن فقد حاولت الجاسوسة الفرار ، وتصنعت لها (ميرا) ، فلتنتها الجاسوسة بهذا الفخج .  
قالت (متى) في حدة :  
- قصة سخيفة .

وتكن (هوبا) قالت في غضب مصطنع :  
- لقد شاهدنا الجميع تفعل هذا .. كلهم شهود على ما فعلته .  
نقل المأمور بصره بينها وبين (متى) ، ثم استقرت عيناه لحظة أخرى على جثة (ميرا) ، قبل أن يقول :  
- ولكن أبواب الزنزين كلها تفتح بمفتاح إلكتروني ، فكيف تمكنت الجاسوسة من فتح باب زنزانتها ؟  
أجابته (هوبا) :

- إنها جاسوسة .. النيس كذلك .. ألا تشاهد ما يفعله الجواسيس ، في أفلام السينما ؟ .. أراهم أنها تخفي شيئاً ما ، يفتح فتح باب الزنزانية .  
سألها المأمور :

- وماذا عن (ميرا) ، و (سيدينا) ، والأخريات ؟  
أجابته (هوبا) في سرعة :  
- لقد راجعت هذا ، ووجدت أن لوحة الأزرار أصابها عطب .  
جعل زنزين هؤلاء تفتح ، في نفس اللحظة التي فتحت فيها هذه العاسوسة زنزانتها .

تتهاد وقال :

- ياله من عظم أنيق ، يحسن اختيار من يريد !

هتقت ( هويا ) :

- انتهمني بالكذب ؟

قال في صرامة :

- لست أنتهمك بشيء ، ولكنها الأسئلة نفسها ، التي سيلقيها

رجال المباحث الفيدرالية عليك ، عندما يبدأون تحقيقاتهم في هذه القضية ، والأفضل أن تكون لديك أجوبة أكثر إقناعا .

استمعت ( هويا ) ابتسامة عجيبة ، جعلتها أشبه بلعيان أرقط ، وهي تقول :

- بصمات الجاسوسة على مقيض الفخجر ، سيلتصمهم أكثر .

التفت لحلجبا ( منى ) لحظة ، قبل أن تقول في هدوء :

- لقد أعددت لعبتك بمنتهى الدقة .. أليس كذلك ؟

استمعت ( هويا ) في سخرية شامتة ، وقالت :

- إنني أقيم العدالة ، وأكره من يتهمسون على دولتي .

قال المأمور في صرامة :

- كفى يا ( هويا ) .

ثم التفت إلى ( منى ) ، قائلا :

- سأمر بإيداعك ونزائلك ، مع حراسة خاصة مشددة ، وسيتم

عرضك على القاضي ، بعد أن ينتهي رجال المباحث الفيدرالية من

تحقيقاتهم ، بتهمة القتل .



نقل المأمور بصره بينها وبين ( منى ) ، ثم استقرت عيناه لحظة أخرى على جثة ( ميرزا ) ..



لم تعلق (منى) بحرف واحد ، وتركت (هوى) تقودها إلى  
زنايتها ، ولم تك تدبّلها ، حتى التفتت إليها ، قائلة :

- ماذا ستعنين في المرة القادمة ؟

برقت عينا (هوى) في شماعة ، وهي تقول :

- محاولة فرار .

ثم ابتسمت ساخرة ، مستطردة :

- وما يستبها من قتل للمسيحة الهاربة .

وأطلقت ضحكة ساخرة منتفحة ..

وأغلقت الزنزانة ..

\* \* \*

بدا (فوستر) شديد التوتر ، وهو يجلس في مكتب مدير

مستشفى السجن ، الذي بدا بلور عصبيا عليها ، وهو يقول :

- إن فلد تجح في الفرار منكم أيضا .. هذا يجعلنا متعادلين

هذه المرة يا (فوستر) .

أشار إليه (فوستر) في صرامة غاضبة ، وهو يقول :

- ليست هذه هي القضية الآن يا رجل .. المهم أن نعرف لماذا

جاء هذا الطبيب الزائف إلى هنا ، وما جنسيته بالضبط ؟

أجابته المدير :

- لقد كان يتحدث الأمريكية في إنكلان شديد ، ولكن حارس

البوابة يقول إنه أطلق عبارة ساخطة بالعبرية . قيل أن يفلر خارج

المكان .

اتخذت خلعها (فوستر) ، وهو يقول :

- بالعبرية ؟

صمت لحظة ، ثم تابع :

- ولكن لماذا جاء إلى هنا ؟ .. إنه لم يحاول التخلص من

الجلسوس الآخر ، أو حتى حاول تهريبه ، فما الذي جاء يفعله

الآن ؟

هز المدير كتفيه ، وقال في حدة :

- ومن أراى .. إنها ليست مشكلتى .. لقد قتل حراسى

العملى مساعدى ، وهم يتصورون أنني أمرتهم بهذا ، ومبعضى

تصرفهم السفيف فى موقف شديد الحرج ، أمام رجال

التحقيقات .. هذه هي مشكلتى .

رمقه (فوستر) بنظرة ازراء ، ثم لوح بكفه ، قائلا :

- فليكن .. اهتم بمشكلتك ، ودع لنا مشكلتنا .

وأشار إلى مساعده ، مستطردا :

- هيا يا (داتى) .. سنغادر هذا المكان ، فلم أعد أعتدل راحته

الطنة .

غادرا المكان معا ، واستقلا السيارة الخاصة ، التي استدعاها

(فوستر) ، بعدما أصاب الهلوكوبتر من عطب ، ولم تكد السيارة

تبتعد بهما ، حتى قال (فوستر) :

- أسمعت ما سمعته يا (داتى) ؟ .. لقد تحدثت بالعبرية .

قال (داتى) :

- هذا يحسم الأمر يا سيدي .  
أجابته ( فوستر ) :

- بل يزيد تعقيدا يا (داني) ، فليس من المنطقي أن يلجأ  
(إيزاك) لمثل هذا الإجراء الغامض ، في موقف يهدد لولته إلى  
هذا الحد .. ثم أن أسلوب الإسرائيليين يختلف كثيرا ، عن هذا  
الأسلوب الغامض المعقد .. إنهم - في حالة كهذه - يقتلون  
رجلهم بلا تردد ، حتى لا يعترف بانتقامه إليهم . ولقد قضى ذلك  
الرجل نصف ساعة كاملة مع الجاسوس ، وهذا الوقت كان يكفيه  
لقتله ، وتقطيعه إربا أيضا .

صمت لحظة ، وكأنما يحاول استيعاب الأمر مرة أخرى ، ثم  
أضاف في شرود واضح عميق :

- مازالت هناك خيوط أخرى في اللعبة يا (داني) .. خيوط  
أكثر مما نتصور .

وصمت لحظة ثانية ، ثم تابع في حزم :

- وأخطر مما نتصور ..

\* \* \*

شعر (قنري) بارتياح شديد ، عندما رأى (أنهم) يدخل إلى تلك  
الحجرة ، في الفلنك الصغير ، في قلب (نيويورك) ، وهدف به :

- مرحي يا رجل .. لقد نجحت هذه المرة .. أليس كذلك ؟

أجابته (أنهم) ، وهو ينتزع العنستين الزرقاوين من عينيه :

- إلى حد ما .. لقد التقيت بـ (حسام) ، وعرفت منه كل  
التفاصيل ، ولكنه ضعيف ومتهلك للغاية ، حتى أنه فقد وعيه ،

بعد أن قصَّ عليَّ ما لديه ، ولكن مدير مستشفى السجن كشف  
أمرى ، وطارتلى طائرة هليكوبتر ، نجوت منها بأعجوبة ..  
ارتسمت عليَّ شفتي (قنري) ابتسامة واسعة ، وقال :

- بل بتوفيق من الله (سبحانه وتعالى) ، وبمهارتك المعتادة  
يا فتى .

جلس (أنهم) في إرهاب ، إلى جوار المائدة ، وقال :

- إنها ليست مهمة سهلة يا (قنري) ، فهي تحتاج إلى قتال  
مستعيت ، في ثلاثة محاور ، مما يجعلها أشبه بمهمة ثلاثية ، أو  
بثلاث مهمات في آن واحد .. إننا نحتاج إلى إنقاذ (مسي) من  
سجنها ، وإنقاذ (حسام) من مستشفى السجن ، ثم العمل على  
إعادتهما إلى (مصر) بأقصى سرعة ، وفي نفس الوقت ينبغي ألا  
نفسد المهمة الأساسية أو نلصقها ، فطينا أن نسعى لاستعادة  
(مارولد) ، ثم نلقى التبعة كلها على رهوس الإسرائيليين .

استمع إليه (قنري) ، دون أن تفارق ابتسامته شفتيه ، ثم  
سأله :

- وما قولك في هذه المهمة الثلاثية ؟

مط (أنهم) شفتيه ، وتثوَّد قائلا :

- صعبة .

أجابته (قنري) في جملين :

- بل مستحيلة !

واتسعت ابتسامته أكثر ، وهو يضيف :

- لذا فهي تتألمك تمامًا ، وتصلح كهنية عودة .

انثقت إليه (أهم) ، وسأله في هذا :

- عودة من ؟

تأثقت عنها (قري) ، وهو يجب :

- عودة الرجل ، الذي تعين له (مصر) بالكثير ، وبين هو

اليها بالكثير .. عودتك يا (أهم) إلى الصوف .. عودتك

يا (رجل المستحيل) .

الذئع (داني) إلى مكتب (فوستر) ، وبدا الانفعال الشديد على

وجهه ، وهو يقول :

- سيدي .. إنه هنا ، ويطلب مقابلتك .

عقد (فوستر) حاجبيه ، وهو يقول :

- من هذا ؟

أجابته (داني) ، في انفعال شديد :

- (إيزاك) .. سيدي .. (إيزاك باراهودا) .

اعتدل (فوستر) ، - من هذا ؟

أجابته (داني) ، في انفعال شديد :

- (إيزاك) .. سيدي .. (إيزاك باراهودا) .

اعتدل (فوستر) ، وبرقت عنها في شدة ، وهو يقول :

- (إيزاك) ؟؟ .. دعه يدخل على الفور يا فتى .. لماذا تنتظر ؟

غادر (داني) الحجرة في سرعة ، ولم تمضي ثوان ، حتى دخل

إليها (إيزاك) ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة ديبلوماسية ،

ويقول :

- مساء جميل يا (جيمس) .. إننا لم نلتق منذ زمن طويل ..

أليس كذلك ؟

لم يتنهض (فوستر) لمصافحته ، وإنما أشار إليه أن يجلس في  
برود ، وهو يقول :

- ما الذي أتى بك يا (إيزاك) ؟

أجابته (إيزاك) في بساطة ، دون أن تفارق ابتسامته شفتيه :

- جلست من أجل الجاسوسين ، اثنين أقيم القبض عليهما ،

لازح لك أنهما ليما إسرائيليين كما يدعيان .

سأله (فوستر) فجأة :

- ومن أخبرك أنهما يدعيان هذا ؟

بغت ابتسامته (إيزاك) أشبه بابتسامة ثعلب عجوز ، وهو

يقول :

- لن أقول إنني قرأت هذا في الصحف ، فلم تشر صحيفة واحدة

إلى هذا ، ولكن سأقول : إن لنا وسائلنا .

ابتسم (فوستر) ابتسامة ساخرة ، وهو يتراجع في مقعده ،

قائلًا :

- حقًا ؟

تلاشت ابتسامته (إيزاك) هذه المرة ، وقال :

- إن أعتمد على قولي وحده بالتأكيد ، فلأيد من إقناعك بنيل

حلم .

أجابته (فوستر) بنفس البرود :

- أعتمد هنا .



وهنا فتح (إيزاك) حقوبته ، وسحب منها ملجأ ضخمنا ، وضعه أمام (فوستر) ، وهو يقول :

- وبها هو ذا النليل .. افتح هذا الملف ، وستترك أنثى على حق .

فتح (فوستر) الملف ، فطالعه صورة واضحة ، وأسفلها اسم واضح ، بالعبرية والإنجليزية ، يحمل اسم صانعة الصورة .. اسم (منى توفيق) .

\*\*\*



## ٦- وبدأت اللعبة ..

التقى حاجبا (فوستر) في شدة ، وهو يقرأ ملف (منى) في اهتمام بالغ ، و (إيزاك) يتابعه ببصره في تركب واهتمام ، حتى انتهى من الملف ، فأغلقه في عطف ، وهو يردد :

- مستحيل !

أجابته (إيزاك) :

- ولماذا مستحيل ؟ .. كل المعلومات لديك هنا ، وكلها صحيحة ، على مسئوليتي الشخصية .. هذه الفتاة تنتمي إلى المخابرات المصرية ، وكانت تعمل فيما مضى بصحبة واحد من أقوى وأخطر رجال المخابرات ، في العالم أجمع ، ولكنه لقي مصرعه في (المكسيك) . منذ عام ونصف العام ، ويبدو أنها قد انتقلت للعمل مع رجل آخر .

قال (فوستر) في حدة :

- هذا لو أن كل المعلومات ، في هذا الملف صحيحة .

خلف (إيزاك) في نهشة :

- ماذا تعني يا (جيمس) ؟

أجابته (فوستر) في صرامة :

- أعني أنه من المستحيل أن يكون كل هذا مزيفا .

خلف (إيزاك) مستكبرا :

- هل ستزور ملفاً كاملاً لخداعكم يا (جيمس) ؟

أجابته (فوستر) في ضراصة :

- إنكم قادرون على تزوير عالم بأكمله ، من أجل مصلحةكم الشخصية ، حتى لو كان هذا مدحراً لمضارتنا كلها .

صاح (إيزاك) في غضب :

- (جيمس) .. لقد تجاوزت الـ ...

قاطعه (فوستر) في صرامة :

- اصمت .. لقد أعطيتني هذا الملف ، وهنا تنتهي مهمتك كلها ، ومهمتي أنا هي دراسة الملف ، والتأكد من كل كلمة جاءت فيه ، وبهذا نلتقي يا (إيزاك) .. هل فهمت هذا ؟

ران الصمت لحظات على المكان ، ثم نهض (إيزاك) قائلاً :

- فهمت يا (جيمس) .

ثم ارتفع صوته بغيته ، وهو يستطرد :

- فهمت أنك تتخذ موقفاً معادياً للسامية .

ابتسم (فوستر) في سخرية ، وهو يقول :

- حقاً ؟!

صاح (إيزاك) ، وهو يتدفق لمغادرة المكان :

- حقاً يا (جيمس) .. هذا ما سأبلغ به رؤسائك .. سأبلغ

الجميع .

قال (فوستر) في حدة :

- انذهب إلى الجحيم ، لتقير الشيطان ذاته .

سلك (إيزاك) الباب خلفه في عنف ، في حين جلس (فوستر) خلف مكتبه في توتر ، وعاد يلتقط ملف (مئي توفيق) ، ويطلعه في عناية كبيرة ..

وقلبي تكبر ..

\* \* \*

كانت عقارب الساعة تشير إلى تمام الثامنة والنصف ، عندما دخل مأمور السجن إلى مكتبه ، وتطلع في اهتمام إلى الرجل المريض المكتبين ، الكثر اللحية والشارب .. صاحب الألف المظفوف ، الذي نهض لاستقباله ، ومد يده بصفحة ، قائلاً :

- صباح الخير يا سيدي المأمور .. اسمي (آرثر) ..

(آرثر كنج) .

صافحه المأمور ، وهو يتأمله في اهتمام ، قبل أن يجلس خلف مكتبه ، قائلاً :

- أنت مخاض تلك الجلوسية .. أليس كذلك ؟

رفع (آرثر) سنيابته أمام وجهه ، وقال :

- مهلاً يا سيدي المأمور .. ليس من حقه وصلها بالجلوسية ، مادامت لم تكن بهذه التهمة بعد .

لوح المأمور بكفه ، وقال :

- حسن .. أنا أفهم أساليبكم وأمقتها أيها المحامسون .. لن

أسفها بهذا الآن ، ولتلك تريد مقابلتها .. أليس كذلك ؟

أجابته (آرثر) في هدوء :

- وفي حجرة خاصة ، دون خواجز أو أجهزة تصنت ، أو ...  
 قاطعة المأمور في ضجر :  
 - حسن .. حسن .. إنتى أترك كل هذا .  
 وضبط أحد الأزرار الطيدة فوق مكتبه ، فظهرت ( هويا ) على  
 عتبة الباب ، وقال لها المأمور :  
 - هذا ( آرثر كنج ) ، محامى المتهمه .  
 رمقت ( آرثر ) بنظرة باردة ، قبل أن تقول :  
 - بأية تهمة ؟  
 علق ( آرثر ) حاجبيه ، وقال :  
 - لقد كلفوسى الدفاع عنها ، ضد اتهمها بالتجسس .  
 قالت سلفرة :  
 - وماذا عن القتل ؟  
 هتلف فى دهشة :  
 - القتل ؟! .. أى قتل ؟  
 أجابه المأمور فى ضيق :  
 - إنها متهمه بقتل زميلة لها أسس ، ونحن فى انتظار رجال  
 التحقيقات .  
 بدا الاهتمام على وجهه ، وهو يقول :  
 - القتل ؟! .. هذا يزيد من تعقيد القضية .  
 قال المأمور :  
 - ومن أتعابك ؟

ابتسم الرجل ، وقال :  
 - بالتاكيد .  
 ثم التفت إلى ( هويا ) ، وقال فى حماس :  
 - هيا .. قودينى إلى موكلتى .  
 فافنه ( هويا ) إلى حجرة خاصة ، فى الطابق الأول من  
 السجن ، وقالت :  
 - منفض الفنا على الفور .  
 اتجهت إلى قاعة الطعام ، وقالت لـ ( منى ) فى صراة :  
 - يبدو أنهم قد اتنبهوا محاميا للدفاع عنك .  
 بدا الاهتمام على وجه ( منى ) ، وهى تسألها :  
 - كيف يبدو ؟  
 أطلقت ( هويا ) ضحكة ساخرة ، وقالت :  
 - أهذا كل ما يملكك ؟ .. إنه طويل ، متين البنيان ، عريض  
 المتكبين ، له لحية كثة ، و ...  
 قاطعتها ( منى ) فى لهفة :  
 - هذا يكفى .. هيا بنا .  
 عظمت ( هويا ) حاجبيه فى شك ، وقالت :  
 - يبدو أنك تعرفينه .  
 ابتسمت ( منى ) ، قائلة :  
 - بالتأكيد .  
 لم يلقى الشك ( هويا ) ، وهى تقودها إلى العجزة فاتها ، فى





نقلت (منى) إلى الحجرة ، وقلبتها يدق في قوة وعنف ، ثم تجعدت  
مشاعرها كلها ، وهي تتطلع إلى الرجل ، الذي ابتسم قائلاً :

حين راح قلب (منى) يخلق في قوة ، وهي تسير إلى جوارها ،  
حتى بلغا الحجرة ، فقلعت (هوى) يابها ، وقالت في صرامة :  
- المغلى .

نقلت (منى) إلى الحجرة ، وقلبتها يدق في قوة وعنف ، ثم  
تجعدت مشاعرها كلها ، وهي تتطلع إلى الرجل ، الذي ابتسم قائلاً  
بالعبرية :

- صباح الخير يا (هانا) .

وهوى قلبها بين فحفيها ..

\* \* \*

استمع (فوستر) في اهتمام بالغ إلى مأمور المسجون ، غير  
هاتله الخاص ، وسأله في التعلل ملحوظ :

- اسم (أرثر كلارك) .. هل يبدو طبيعياً ؟

سأله المأمور في نهشة :

- ماذا تعني يا ماستر (فوستر) ؟ .. إنه طبيعي بالتأكيد .

قال (فوستر) :

- أعني هل يبدو متذكراً ؟

أدرك المأمور ما يقصده (فوستر) ، فتردد لحظة ، قبل أن

يجيب :

- لست أدري .. إنه كث اللحية والثياب ، وربما ..

قاطعته (فوستر) ، وكانتا تكتفي بالعبارة :

- حين أبها المأمور .. سأرسل أحد رجالى لمراقبته ، عند

خروجه من المسجون ، ودع الباقي لنا ..

انهى المحادثة ، وقال فى انفعال :

- إنه هو .. أراهن أنه هو .

سأله (داتى) :

- من تقصد ياسيدى ؟

أشار إليه (فوستر) ، قائلا :

- ذلك الشاب ، الذى نجح فى الفرار منا .. إنه الآن فى السجن

النسائى القيدالى ، يتحلل شخصية محام ، يدعى (آرثر كنج) .

زوى (داتى) ما بين حاجبيه ، وقال :

- (آرثر كنج) ؟؟ .. أظننى أفكر هذا الاسم .

ثم عتف :

- نعم .. لقد تذكرته .. إنه محام شهير ، من أصل يهودى

يفتخر بقضايا التجسس والقتل .

عتف (فوستر) :

- من أصل يهودى ؟؟

عاد يسترخى فى مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه .

وهو يفكر فى عتق ، فسأله (داتى) فى خفوت :

- ألا يبدو لك هذا واضحا ؟

هز (فوستر) رأسه . وقال :

- كلا يا (داتى) .. لا شيء يبدو واضحا ، فى هذه العملية كلها .

ثم اعتدل ، مستطردا فى حزم :

- ارسل من يرأى هذا المحامى .. بل انهب بنفسك ، وهاول

أن تستجويه . أو تكبر خوفه .. المهم أن تعرف من هو بالفعل .

ومن استأجره للدفاع عن الفتاة .. اجمع كل ما يمكنك من

معلومات ، وبأية وسيلة .

ابتسم (داتى) فى ارتياح . وقال :

- سمعا وطاعة يا سيدى .

وغادر السكان تون ترند ، تاركا رئيسه خلفه ، وهو يشتغل

حجرة ..

وقلعا ..

\* \* \*

اتفح المقدم (أشرف) ، إلى حجرة مدير المتفائرات المصرية .

وهو يقول فى انفعال شديد :

- سيدى .. لقد حدث تطوّر خطير ، فى قضية (حسام)

(مضى) .

سأله المدير فى قلق :

- ماذا حدث يا (أشرف) ؟

أجاب (أشرف) :

- سنلوينا فى (أمريكا) اتصل بنا هاتفيا منذ ثلاثين . وقال : إن

لقد نجح فى زيارة (حسام) فى سجنه أمس . وتم كشف أمره .

ونكح نجح فى الفرار . على الرغم من مطاردة هنيوكويتر مصفحة

له . وسباح اليوم ذهب رجل إلى (مضى) ، وقال لإدارة السجن :

إنه يحام مكلف للدفاع عنها ..

قال المدير في عيشة :

- صباح ١٢ .. ولقد لم نرسل محاميا بعد .

قال (أشرف) :

- كيف تفسر ما حدث إذن ياسيدى ؟ .. هناك من يحصل

لحسابنا ، ونحن نجهل حتى من هو !

بدأ التفكير العميق على وجه المدير : ثم لم يلبث أن نهض من  
خلف مكتبه ، واتجه إلى النافذة ، وتطلع منها لمحات ، قبل أن  
يقول :

- أعلم يا (أشرف) .. لو سألتنا أنفسنا ، عن سر طلب الإجازة  
العاجلة ، الذى تكلم به (قبرى) ، بعد تلقيه رسالة عبر المحيط ،  
ثم سره الصياغة إلى (المكسيك) ، وحدث ما حدث ، لقلنا إن  
الشخص الذى يفتكى ، خلف كل هذا ، هو ..

قامعه (أشرف) :

- (أنهم صبرى) .

لم يهبط المدير ، بل ظل يتطلع من النافذة فى سميت ، فداع  
(أشرف) :

- ألقه إسرائف فى الفيال ياسيدى .

عظم المدير :

- أو أمنية .

قال (أشرف) :

- أمنية مستحيلة ياسيدى .. فالموتى لا يعودون إلى الحياة .

لى عالمنا هذا ..

تهد المدير ، وقال :

- أعلم هذا يا (أشرف) .. أعلم هذا .

والتفت إليه ، مستظرفا :

- ولكن كيف تفسر ما يحدث هناك ، فى الولايات المتحدة

الأمريكية ؟

أجاب (أشرف) :

- ليس لدينا أى تفسير ياسيدى .

ثم تابع فى حزم :

- ولكن هذا لا يضى أن (أنهم صبرى) على قيد الحياة ..

لا يضى هذا أبدا .

\*\*\*

غادر (آرثر كننج) سجن النساء الفيدرالى ، ووجهه يحمل  
ابتسامة تلك الظفارة ، واتجه إلى سيارته فى خطوات قوية ولكنه لم  
يكذب يمشى ليبتح بانها ، حتى شعر بلهفة مبدى باردة تنصق  
بظهره ، وسمع صوتا صارخا قاسيا ، يقول فى شراسة :

- ألقنا مستضيفك فى سيارتنا ياسستر (آرثر) .

تحرك (آرثر) جلقا فى حركة سريعة ، وفار على عقبه فى  
سجارة . ثم ركل الممنوع فى يد الرجل الضخم ، الذى بهنقه ،  
وهوى على فكه الرجل بكلمة قوية ، وهو يقول فى سخرية :

- ألقنى أفضل سيارتى .

تلقى الضخم الكلمة فى خفة ، على الرغم من حجمه ، وهوى  
على معة (آرثر) بكلمة كالقنبلة . هاتفا :



- هذا لو أنك تملك الاختيار -

انثنى (أرثر) ، من عطف الكلمة ، ثم اعتدل في سرعة ، وقلز  
بكل وجه الرجل بقممه في عطف ، وهو يقول :  
- انثنى أمتك بالتاكيد -

ولكنه سمع وقع أقدام تنطو خلفه ، فدار على عقبه في  
سرعة ، ليواجه خصمه الجديد ، (لأن كعب مسنن ثقيل هوى  
على مؤخرة عنقه ، في قوة شديدة ، فدار حول نفسه لحظة ، ثم  
سقط فأنك الوعى ، تحت قممى (باتى) ، الذى هتف في وجه  
الضخم :

- كاد يهزمك أيها الأحقى .. يبدو أنك تحتاج إلى إعادة  
تدريبك كلها .

انعنى الضخم يلتقط مسنسه ، وهو يهتهم بكلمات مبهمة ،  
فتابع (باتى) في صرامة :

- تحرك بسرعة يا رجل ، ولصمك إلى سيارتنا ، فسروق  
لمستر (فوستر) حتماً أن يستجوبه بنفسه .

أسرع الضخم يحمل جسد (أرثر) إلى سيارة ضخمة ، لم تثبت  
أن انطلقت إلى مكتب (فومستر) ..  
مكتب الضلع ..

\*\*\*

من الواضح أنك تواجه مشكلة ضخمة أيها المدير ..  
نطلق ملتش التحقيقات الفهر إلى هذه العيارة في صرامة ،  
وهو يواجه مدير مستشفى السجن المركزى ، الذى زفر في  
يأس ، وقال :

- أعلم هذا -

ثم تابع في حدة :

- ولكنها ليست غلطتى حتماً .. صحيح انثنى طلبت من هؤلاء  
الأرغاد إيقاف الطبيب الزائف باى ثمن ، إلا انثنى لم أكن أقصد أن  
يقتلوا مساعدى بهذا الفناء .

أجابته المفلش :

- عبارتك كانت تعنى هذا بالنسبة لهم .

غضب المدير :

- إنهم أغبياء .

قال المفلش في صرامة أكثر :

- وأنت المسئول عن كل ما يحدث هنا .

زفر المدير مرة أخرى ، وتهالك على مقدمه ، في حين راح  
المفلش يتحرك في المكان لعظمت . قبل أن يلتفت إليه ،  
ويسأله :

- وما قصة هذا المسجون ، الذى يخاطر شخص بحياته ، من  
أجل اللاء نظرة عليه فمضب ؟

أجابته المدير في مرارة :

- إنه جاسوس ، أحضره رجال المخابرات المركزية ، و ..  
الفلش جسد المفلش في قوة ، وغضب :

- جاسوس ١٢ .. المخابرات المركزية ١٢ .. وما شأن رجال  
المخابرات المركزية (الجواسيس) داخل البلاد ١٢ .. أنت تعلم أن

قرار التكونيبر من صريح في هذا الشأن .. ليس من حق  
المخابرات المركزية العمل داخل البلاد .. التماس الداخلي من  
شأن البوليس الفيدرالي فحسب .

تحقق المدير في توتر .

- أبلغهم هذا بنفسك .

قال المفتش في حدة :

- ولكنك أصبحت متورطاً معهم أبها المدير .

هبط المدير من مقعده كالمسروع . وهتف :

- أنا ؟! وما شأنى بهذا ؟

أجابته المفتش في صرامة :

- لقد كنت تعلم .

بدأ التوتر البالغ على وجه المدير ، وقال :

- ولكننى ألتزم الأوامر .

صاح به المفتش :

- أنتن هذا عجزا ؟

استلق وجه المدير ، وانهار على مقعده متنعفا :

- وماذا كنت أستطيع أن أفعل ؟

قال المفتش في غلظة :

- لم يكن ينبغي أن تستقبل الجاسوس في مستشفىك على

الأمل . فهذه قضية فدرالية ، ولابد من وضعه في سجن

فيدرالى .

ثم التفت بمساعة الهاتف الخاص بالمدير . وهو يستورد :

- سأطلب لكه من هنا على الفور .

ورمى المدير بثقرة صارمة . مردفاً :

- ربما عمل هذا على تحسين موقفك .

ولم يتردد المدير ..

لم يتردد بحرف واحد ..

\* \* \*

لم يكد ( آرثر ) يتصرف . حتى قالت ( هوى ) في مخزية :

وهي تتطلع إلى ( منى ) :

- إنى فانت إسرائيلية ؟

أجابتها ( منى ) في برود :

- ليس هذا من شأنك .

قالت ( هوى ) في حدة :

- لقد سمعنا تتحدثان بالعبرية .

توقفت ( منى ) . وقالت في قلق :

- سمعنا ؟! .. ليس هذا من حلقك .

أطلقت ( هوى ) ضحكة ساخرة ، وقالت :

- أيسنك إشبات أننى فلت ؟

ثم مالّت نحوها . مستردة :

- ولكن اطمئنى .. لم ألقهم حرفاً واحداً من حديثكما ، فأتنا

أهل العبرية . ولكننى أستطيع تمييزها عندما أسمعها . فأقول

شباب حرفته في صباه . كان يتحدث بها .

ابتسمت (منى) فى سفوية . ولكن (هويا) تابعت فى وقت :  
 - ولقد خدعنى وعاملتنى بمنتهى السفالة . حتى أننى لم  
 أبص فى حياتى أكثر منه ، ومن كل يهودى فى هذا العالم .  
 كنا قد بلغنا فناء السجن . فتركناها (هويا) . واتجهت فى  
 خطوات واسعة إلى (سيرينا) . وقلت فى وقت :  
 - إنها إسرائيلية .

رمت (سيرينا) (منى) بنظرة طويلة . قبل أن تقول :  
 - حقا ١٢ . ولماذا يحاول الإسرائيليون التجسس علينا ؟  
 أجابت (هويا) فى كراهية واضحة :  
 - لأنهم أكثر أهل الأرض .

ثم أمسكت يد (سيرينا) فى قوة . مستطردة :  
 - اسمعنى جيدا يا (سيرينا) .. لقد زاد مقتى لهذه الفتاة .  
 بعدما علمته عنها ، وفكرت أن تلقى مصرعها الليلة ، مهما كان  
 الزمن .. هل فهمت يا (سيرينا) ؟ .. الليلة .  
 ابتسمت (سيرينا) فى ارتياح ، وقالت :  
 - كما تشائين يا (هويا) .. سنقتلها الليلة .  
 وابتسم الشيطان .

★ ★ ★



## ٧ - المزيّف ..

استعاد (آرثر) وعيه فى بلاء . وتأوه فى ألم . وهو يقول :  
 - أين أنا ؟ .. ماذا حدث ؟  
 انطلقت عباءة صورة (فوستر) . الجالس أمامه . فالتفت  
 التفافه صغيرة . وقال فى حدة :  
 - من أنت ؟ .. لماذا فعلتم بى هذا ؟  
 أجابه (فوستر) فى صرامة :  
 - أنت هنا لتجيب عن أسئلتى . لانتلقى الأسئلة بأرجل .  
 قال (آرثر) فى حدة :  
 - وبأى حق أجيب عن أسئلتك ؟  
 ألصق (بائى) فوهة مسخسة برأس (آرثر) . وهو يقول :  
 - هل يكفى هذا لإقناعك ؟  
 بدا (آرثر) متوترا . وهو يقول :  
 - إلى حد ما .  
 اعتدل (فوستر) فى مقعده . وقال موجها حديثه إلى  
 (آرثر) :

- من أنت بالضبط ؟  
 أجابه (آرثر) فى حلق :  
 - (آرثر كننج) .. أشهر محام فى (نيويورك) عليها .



سأله (فومستر) :

- أنت والى من هذا ؟

أجابه فى حدة :

- ما الذى تعنيه يا رجل ؟.. إننى واثق بالطبع .

هز (فومستر) كتفيه ، وقال :

- لا بأس .. لقد حصلنا على بصماتك ، قبل أن تستحب

وعيك ، وإن يثبت الكمبيوتر أن بختيرنا بكل شيء عنك ، أما الآن

فلدى سؤال واحد ، أريد منك أن تجيب عنه بمنتهى الدقة

والوضوح .

ومال نعوذ بكفة ، مستطردا :

- من استلجرك للدفاع عن الجانوسمة ؟

عذل (آرثر) حالته ، وقال فى حدة :

- إنها لم تكن بتهمة التتجسس بعد ، ثم إننى لا أستطيع كشف

أسرار عملائى ، والمعاملى الذى يفعل هذا ، بعد خائننا ..

جذب (ثانى) إبرة منمنمة ، وقال :

- ماذا تفعل إذن ؟ .. معامليا خائننا على قيد الحياة ، أم

معامليا شريفا ، فى تابوت أتقى .

تتصنع (آرثر) ، وقال فى حدة :

- ومن يحب التوايبت ؟

ثم زفر فى استسلام ، وقال :

- إننى أجعل فى الواقع ، اسم من استأجرتنى لهذا .

تراجع (فومستر) فى مقعده ، قائلا :

- تجهله ؟ .. حقا ؟؟

هتف (آرثر) :

- أقسم لك إننى أجهل كل شيء عنه .. كل ما أعرفه هو أنه

طويل ، وسيم ، أشقر الشعر ، أزرق العينين ، طلب منى الدفاع

عن (طائفا) بذه ، ودفع بمسقاء ، كما نصصنى بالتحدث إليها

بالعبرية ، وقال إن اختياره قد وقع على بالذات ، لأننى أجيدها

تماما .

رند (فومستر) ، وهو يعقد حاجبيه ، فى تفكير عميق :

- بالعبرية ؟ .. ولماذا العبرية بالذات ؟

أجابه (آرثر) :

- لأنها إسرائيلية .. هنا ما قاله الرجل .

ثم (دانى) يقول شيء ما ، فى نفس اللحظة التى دخل فيها

أحد الرجال ، وهو يقول :

- معتدرة أبها الرئيس ، ولتكنسى لأحمل تقريرى فحصى

المصمات ، وتقرير الكمبيوتر ، ولقد ظلمت الإطلاع عليهما فور

تهورهما .

مد (فومستر) يده إليه ، وقال فى لهفة :

- إلى بهما .

ناولته الرجل التقريرين ، وغانر المكان فى سرعة .

فراجعهما (فومستر) فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن رفع عينيه إلى

وجه (آرثر) ، وهتف :

- مستحيل ١. لم أكن أتوقع هذا بالفعل .  
واشتعل الفضول في قلب (داني) ..

\* \* \*

تضاعف التوتر في أعماق مدير مستشفى السجن المركزي وهو يلف في نافذة حجرته ، إلى جوار مفتش التحقيقات الفيدرالي ، يتابعان الجنود ، وهم ينقلون (حسام) إلى سيارة الإسعاف الكبيرة ، التي تحمل شعار الشرطة الفيدرالية (إف. بي. أي) ، وقال المدير في عصبية :  
- معذرة يا سيادة المفتش ، ولكن كل هذا يتم على نحو غير رسمي .. أحم .. أعني أن المسئولية ..  
قاطعه المفتش في صرامة :

- قلت لك : إنني أتحمل المسئولية كاملة .

ثم اتجه إلى مكتب المدير ، والتقط ورقة وقلما ، وكنت عبارتين سريعتين ، تليهما بتوقيعه ، وهو يستكرد :  
- وهذا إقرار رسمي مني بهذا .

شعر المدير بالارتياح ، وهو يقرأ الإقرار المختصر ، ثم وضعه في جيبه بخفية كبيرة ، وقال :  
- هذا أفضل بالتأكيد .

مط المفتش شففيه ، دون أن يعلق بكلمة واحدة ، وتابع في اهتمام عملية نقل (حسام) إلى سيارة الإسعاف ، وشاهد سائلكها البدين ، وهو يقودها إلى خارج السجن ، ثم ينطلق بها مبتعدا ، فاعتدل قائلا :

- الآن يمكننا استكمال تحقيقنا أيتها المدير .

سرى التوتير مرة أخرى ، في جسد المدير ، وهو يقول :  
- كما تشاء يا سيدي

عقد المفتش عليه خلف ظهره ، وسأله في صرامة :

- أما قلت تتكر مسئوليتك ، عن مصرع مساعدك ؟  
تنهد المدير ، وقال :

- أقسم لك إنني لم أكن أقصد أبدا أن ..

قاطعهما دخول مباحث لرجل متين البنيان ، غريض المتين ، اقتحم الحجرة على نحو يخلو من الذوق واللباقة ، وهو يقول :

- أين المدير ؟

هلف به المفتش في غضب :

- كيف تجرؤ على اقتحام الحجرة هكذا ؟ ومن سمح لك بالدخول إلى هنا ؟

قال الرجل في صرامة :

- لا أحد يمكنه اعتراض ، فانا مفتش التحقيقات الفيدرالي ، ومن على دغول أي سجن ، في أية لحظة .

لمست عينا المدير في ثغشة ، وهو يهتف :

- أنت مفتش التحقيقات الفيدرالي ٢٢ .. من هذا الشخص إذن ؟

انقسم المفتش الأول ، وقال في سخرية :

- صديق قديم -

لم يكذب يظن أنها ، حتى تحرك في سرعة مذهلة ، قدفع الباب بكلمة ليقلعه ، وأقفلت قلمه الأخرى ، في اللحظة نفسها لتضرب وجه المفتش الحقيقي ، ثم اندفعت قبضاته تمسكان من الأخير من سترته ، وحمله في خفة ، كما لو كان بطلاً صغيراً وألقاه قويق المدير ، الذي جمده الذهول في مقعده ، فسقط من المفتش أرضاً ، قبل أن ينفس بحرف واحد ..

وفي هدوء عذل المفتش القديم ثيابه ، أمام عيني المدير الذي هتف بصوت مختلق :

- أنت مفتش زائف ؟

تبذل صوت المفتش ، وهو يقول سالخراً :

- هذا حقيقي ، يا أغبي مدير مستشفي في العالم .

اتسعت عينا المدير في ذهول ، وهو يهتف :

- هذا الصوت .. إنك .. إنك الدكتور (جورج) .

مال (أدهم) نحوه ، وقال في سرية :

- يالك من عبقري !

عذل المدير في وجهه لحظة ، في ذهول كامل ، ثم لم يلبث

جسده كله أن انتفض ، وهو يهتف :

- ولكنك لن تتجر هذه المرة .

وقبل أن يدرك (أدهم) ما يدب إليه المدير ، كان الرجل قد

اختطف آلة الاتصال الداخلي ، من فوق مكتبه ، وضغط زر

سجلات الصوت ، وهو يصرخ :



الفتح الباب بكلمة ليقلعه ، وأقفلت قلمه الأخرى ، في اللحظة نفسها لتضرب وجه المفتش الحقيقي .



- أوقفوا مفتش التحقيقات .. إنه زائف .

ورفعت مكبرات الصوت صيحته ، في كل أرجاء المكان ..

\* \* \*

لم يستطع (داني) السكوت ، وهو يتطلع إلى رئيسه ، فهتف وقد غلبه فضوله تمامًا :

- ماذا هناك أيها الرئيس ؟ .. أأهو شخص زائف ؟

رفع (فوستر) عينيه إليه ، وبدا كاتب مصدوم ، وهو يقول :

- كنت أتوقع هذا .. بل كنت واثقًا منه تمامًا ، ولكن للتدريسين حملًا جوارها عكسيًا .

وعاد يحنق في وجه (آرثر) ، مستعطفًا :

- إنه حقيقي .

هتف (آرثر) في غضب :

- بالطبع إنني شخص حقيقي .. ماذا كنت تتصورني ؟

إنسانًا آليًا ؟

صاح به (فوستر) في غضب :

- اصمت .

ثم التفت إلى (داني) ، متأكدًا في عصبية :

- ألق هذا الرجل خارجًا ، واحرص على أن يجهل أين كان بالضبط .

قال (آرثر) في حدة :

- وملاذ عن الاعتذار ؟

هتف (فوستر) محتفًا :

- يهو أنك تتلفني دققا ، لأطلب من هذا الرجل قتلك ..

تراجع (آرثر) ، ولوح بكفيه : هاتفا :

- لا .. إنني أتنازل عن الاعتذار .

ثم نهض مستعطفًا :

- المهم أن أغادر هذا المكان ..

صاح به (فوستر) :

- هيا .. اغرب عن وجهي .

اصطحب (داني) (آرثر) خارجًا ، في حين بقي (فوستر)

لحظات صامتًا ، ثم التفت خلف (ميسي) مرة أخرى ، وراح

بطالمة ، وهو يردد :

- أمن الممكن هذا ؟

رذلها عدة مرات ، وراحت فكرة عجيبة ، تتكون في

رأسه ..

عجيبة للغاية ..

\* \* \*

لم يكد مدير مستشفى السجن يطلق صرخته ، عبر مكبرات

الصوت ، إلى كل أنحاء المكان ، حتى قال (أدم) في هدوء :

- أنت أرئت هذا .

وهوى بإحضاره على قه المدير كالكبتلة ، ثم انحنى يمسك

مفتش التحقيقات الحقيقي من سترته ، ورفعته أمامه ، وقال

سافرًا :

- معصرة يارجل ، ولكنك ستصبح وسيلتي للخروج من هنا .  
 ويبحث تحت سترة الرجل في سرعة ، لينتزع منسبه ،  
 ووضعه في قبضته . ثم اندفع معه إلى الباب ، واقتحمه في  
 عتف ، وهو يضغط سبابه الرجل ، لتطلق رصاصه عشوائية من  
 المسنن . ويصرخ :  
 - النجدة .. إنه مفتش زائف -

يدا المشهد للحراس ، القاصمين من نهاية العمر ، كما لو أن  
 (أدهم) يتقاتل مع الرجل النفاذ الوعي . والذي ساعدت مهارة  
 (أدهم) على حظه يبدو متوقفا ، وهو يمسك به في شدة ، ويلقى  
 نفسه معه أرضا ، على نحو يوحي بأن الرجل هو الذي أوقع به .  
 وهما :

- أسرعوا .. إنه يحاول الفرار .

ثم اعتدل ، وهوى على فخذ الرجل بكلمة معقولة ، قيل أن  
 يتركه يمشي عند قدميه . ويهبط واقفا ، ثم يلهث في شدة ، على  
 نحو مدروس للغاية ، في نفس اللحظة التي وصل فيها  
 الحراس ، فصاح بهم ، وهو يشير إلى الرجل :

- إنه زائف .. من سوء حظه أنني كنت هنا ، وكشفت أمره .  
 تجئت لبعثه تملنا ، فقد أسرع بعض الحراس يحيطون  
 معصمى الرجل بالأغلال ، في حين سأل قائدهم في قلق :  
 - وسأنا أصلب المدير ؟

اجابه (أدهم) ، وهو يهزل حلقه ويربط عقه :

- لقد هاجمه ذلك الزائف ، وألفقه الوعي ، قبل أن اشتبك  
 معه .

وزفر في قوة ، مستطردا :

- كان موقفا رهيبا .

الذفع قائد الحراس إلى حجرة المدير ، وهتف :

- إنه يحتاج إلى إسعاف أولي .

هتف (أدهم) ، وهو يلوح بيده في توتر :

- وأنا أحتاج إلى الخروج من هنا ، فلم تعد أعصابي تعمل  
 العزيم .

تردد قائد الحراس ، وهو يقول :

- بهذه السرعة ؟ .. ألن تنتظر حتى يستعيد المدير وعيه ؟

لوح (أدهم) بكفيه ، وقال مصطنعا التوتر العسبي :

- يمكنني أن أعود مرة أخرى ، فليست أحتمل البقاء هنا .

تردد قائد الحراس مرة أخرى ، ولكنه لم يملك إلا أن يغتم .

- كما تشاء يا سيدي .. كما تشاء .

استدار (أدهم) ليقتاد الحجرة ، وهو يقول :

- اتصل بي فور استعادة المدير لوعيه .. ستجنس في  
 عتبي . أو ..

لناظم صوت المدير ، وهو يقول في أعيا :

- إلى أين ؟

هتف قائد الحراس :

## ٨ - عبر نيويورك ..

عبرت سيارة الإسعاف الحبيثة ، التي تحمل شعار الشرطة الفيدرالية ، سمر الإقلاع الطويل ، في تلك العطار الخاص . شرق (نيويورك) . وتوقفت أمام طائرة خاصة ، تتميز العلامات المنتشرة فوقها ، إلى أنها ذات طابع طبي خاص ، ويهبط سائق سيارة الإسعاف البدين ، وجلف عرقه ، على الرغم من اعتدال المناخ ، وسأله قائد الطائرة الطبية ، في توتر ملحوظ :

- أنت مستعد للإقلاع ؟

أجاب الطبيب :

- تمام الاستعداد .. هل أحضرت المريض ؟

أشار السائق ، الذي لم يكن سوى (قدي) ، إلى السيارة ، وقال :

- إنه بالداخل .

هز الطبيب رأسه في ارتياح ، واستدعى طاقم الإسعاف الخاص ، من داخل الطائرة ، وتابعهم (قدي) ، في مزيج من الطاق والاشتغال ، وهم ينقلون (حسام) الفائق الوعي ، إلى سرير طبي خاص داخل الطائرة ، ويثبتونه فوقه في عناية بالغة ، ليعيدوا توصيل قلبه ورأسه بأسلاك أجهزةهم ، في حين هز الطبيب رأسه في حيرة ، وقال له (قدي) :

- سيدى .. لقد استعجت وعيك .

ولكن المدير صاح ، وهو يشير إلى (أدم) :

- أوقفوا هذا الرجل .. إنه المفتش الزائف .

وانفجرت القنبلة ..

ولم يعد هناك مفر من المواجهة .

\*\*\*





- يدعشني كثيرا أن تنقل هذا المريض إلى (المكسيك) ..  
لأنك لن تجد رعاية أفضل من المستشفيات الأمريكية بأرجل ..  
هز (قذرى) كتفيه ، وقال :  
- والده ملياردير مكسيكى ، ويصر على نقله إلى مستشفى  
الخاص ،

ابتسم الطيار ، وهو يقول :  
- أهناك مليارديرات فى (المكسيك) ؟  
أجابته (قذرى) ، وهو يصعد إلى الطائرة :  
- والده فقط ،

ثم أضاف فى عصبية :  
- هيا بنا .. لابد وأن نلحق بأقصى سرعة ، فهم ينتظروننا  
هناك .

تردد الطيار ، وهو يلقي نظرة على سيارة الإسعاف ، وقال :  
- وماذا عن السيارة ؟  
أجابته (قذرى) متوترا :  
- لا تأتلق نفسك بشأنها .. سيأتون لاستعانتها بعد قليل .

امتزج التردد بالثبات فى عيني الطيار وصوته . وهو  
يقول :

- لماذا تحمل السيارة شعار الشرطة الفيدرالية ؟  
رسم (قذرى) على شفطيه ابتسامة ، تجح فى انتراعتها من  
قلب توتره ، وهو يمسز بعينه ، قائلا :

- والده مستيق شخص لى لى (إف . بى . آى) ..  
أوما الطيار برأسه متفهنا . وقال :  
- باللوغاد ! .. هم وحدهم يحصلون على الأفضل دائما .  
ثم صعد يدور إلى الطائرة . واتجه إلى مقعد القيادة ،  
و (قذرى) يمسكه :

- هل سنقلع على الفور ؟  
أجابته الطيار :

- سنحتاج إلى بضع دقائق لمصب . فهناك ثرية أخرى . من  
أثرياء (المكسيك) ، ستهبط بطايرتها الخاصة بعد دقيقة  
واحدة ، وسنتنظر هبوط طايرتها . لنقلع من المعمر نفسه .

تطلع (قذرى) من نافذة الطائرة إلى السماء . ورأى الطائرة  
الخاصة الصغيرة تهبط على المعمر بالقطر . وتتعلق تحوهم .  
فإن أن تتوقف على قيد أمتار قليلة منهم ، فى نفس الوقت الذى  
بدأت فيه طايرته تتحرك ..

ولجأة تجمعت السماء فى عروق (قذرى) ..  
لقد رأى تلك الثرية المكسيكية تهبط من طايرتها ، وعرفها  
على الفور ..

كانت (سوليا) ..  
(سوتيا جراهلم) ..

لو راجعنا كل المواقف العصبية ، والصبرية ، التي مر بها  
(أدهم صبرى) - وما أكثرها - لوجدنا أن أكثر ما يميزه فيها ،  
وما يمنحه نقطة التفوق ، هو أنه - عادة - أول من يتحرك ..  
إنه يستوعب الموقف كله ، ويدرسه ، ويضع خطته ،  
وينفذها ، قبل أن يترك الآخرون ما يحدث بالضبط ..

وهذا ما حدث ، في حجرة مدير مستشفى السجن المركزي ..  
لقد خفف المدير بصارته ، وعلت الدهشة الوجوه ، وقيل أن  
تفارق القلوب ، كان (أدهم) قد جنب إليه قائد الحراس ، وحطم  
فقه بلمحة كالمصاعقة ، ثم انتزع منه مدفعه الآلى ، وأدار فوهته  
إلى الآخرين ..

وعندما زالت الدهشة ، كانت رصاصات (أدهم) تغمر  
المكان ..

وكان العمر ضيقا ، ولا مكان فيه للاختباء ، ولا وقت للرد  
على هذا السيل من الرصاصات ، لذا فلم يجد الحراس أمامهم  
سوى الركض بكل سرعته ، فى محاولة للفرار ..

والمجيب أن أحدهم لم يصب برصاصة واحدة ، على الرغم  
من بوى الرصاصات الذى لم ينقطع خلفهم ..

ولكنها سمعة (أدهم صبرى) ..

إنه لن يقتل أبدا ، مادامت لا توجد ضرورة لهذا ..

ولن يضربهم فى ظهورهم قط ..

ولقد نجح ، دون أن يخطر هنا وذاك ، على أقل من دقيقة

واحدة ، كان الحراس قد أكلوا العمر تماما ، واحتسوا بنهايته ،  
وراحوا يطلقون النار بدورهم ، لولا أن ارتفع صوت المدير  
بهتف ..

- توقفوا .. لا تطلقوا النار -

توقف الحراس عن إطلاق النار ، وهم يشعرون بالدهشة ،  
لمثل هذا الأمر ، والمجيب أن أكثرهم دهشة كان المدير نفسه ،  
الذى حدث فى وجه (أدهم) فى ذهول ، بعد أن استنكف هذا  
الآخر صوته ، فى مهارة مذهلة ، ليطلق الأمر ، قبل أن يندفع  
نحوه ، ويجذبه إليه فى عتف ، قائلا :

- لديكم هنا هليوكوبتر طوارىء بالتأكيد ..

كان المدير يرغب فى الابتكار ، إلا أنه وجد نفسه يجيب فى  
رعية :

- نعم .. لدينا واحدة ، فى الساعة الخلفية ..

قال (أدهم) :

- هذا يكفى ..

ثم هوى على فك المدير بلمحة قاتلة ، سقط لها الرجل  
أرضا كجثة هامدة ، فى حين قلز (أدهم) خارج الحجرة ، وراح  
يسير عبر العمر الطويل ، فى طريقه إلى باب الخلفى ..

ومع وقع أقدامه ، شعر الحراس بالقلق ، وقرّر أحدهم  
تجاوز أوامر المدير ، فاحتضن إلى الخارج ، وراح يطلق النار  
على (أدهم) ، الذى بلغ الباب الخلفى فى اللحظة نفسها ،

فلتحته ، وتركه يتلقى الرصاصا عوضاً عنه ، وهو يقاتل درجات  
السلم قلزاً ، في طريقه إلى القاء الخلفي ..

واتدفع الحراس خلفه ..

وفي القاء ، استقبله عدد آخر من الحراس المسلحين ،  
ولكنه ياندركهم بميل من رصاصاته ، وهو يشق القاء في  
جسارة مذهلة .. نحو الهليكوبتر الصغيرة ، القابعة في  
منتصفه ..

لم يكن الموقف سهلاً أبداً . وعلى الرغم من هذا ، كان  
(أدم) يشعر بسعادة غامرة ..

صدقتي .. إنك لم تخطئي العبارة ..

كان يشعر بالسعادة ..

ربما لأن الموقف قلز بالأيام الطوالي ..

أيام القتال والصراع ..

أو لأنه يعمل من أجل (مصر) ، ولو لم يكن عضواً  
بالمخابرات المصرية ..

المهم أنه عاد ..

عاد إلى القتال والصراع ..

إلى الحياة التي يهواها ..

بل يشكها ..

كان يطلق رصاصات مدقعه في منقاد ، والرصاصات  
الأخرى تنهمر حوله ، دون أن يبالي أو يتوقف ..

وبقلزة ماهرة ، رشيقه ، مدعشة ، لا ريب أنها لن تتمحى في  
سهولة ، من ذاكرة من رآها . وثب إلى الهليكوبتر ، وأدار  
محركاتها ، وهو يواصل إطلاق النار ، على نحو أجبر الجميع  
على إخلاء رموسهم . بعد أن أطلقت رصاصاته بأسلحتهم ..  
وارتفعت الهليكوبتر ..

ارتفعت لتعلو جذرات السجين ، ثم تتقطع مبتعدة عنها ،  
ورصاصات الحراس يتابعها في حلق وغضب ..

وفي السجين ، اندفع أحد الحراس إلى حجرة الإرسال ،  
وانطلق مسماع لاستنكي الطوارئ . وغتف :

- النجدة .. النجدة .. محاولة فرار .. لقد استقل شخص  
مريض هليكوبتر المستشفى . وفر بها إلى الخارج .. النجدة -

لم يكف قسم الطوارئ يتلقى نداء الاستغاثة ، حتى صدرت  
الأوامر لطائرتي هليكوبتر ، بتعطيل الطائرة الهاربة ، وإجبارها  
على الهبوط ، أو تسليها في الجو ..

واتنظفت الطائرتان خلف طائرة (أدم) ..

ولأن فارق القوة رهيب ، بين الهليكوبتر المعاتلة ،  
وهليكوبتر إسكاف بسيطة ، فقد لحقت الطائرتان بهليكوبتر  
(أدم) . في مساء (نيويورك) ، وتلقى (أدم) تحفيزاً لاستكشاف  
صارماً ، يقول :

- اهبط بالهليكوبتر يا رجل .. إننا نحاصرك من الجانبين ..  
اهبط وإلا تعرضت لانسداد مباشر .



التقط (أدهم) جهاز اللاسلكى فى الهليكوبتر ، وقال فى  
سفرية :

- لقد أثرنا خوفاً .. إنذهبا إلى الجحيم ، وسنلحق بكما فيما  
بعد .

قالتا وانخفض بطائرتهم بفتة ، لينطلق بها بين تالطحات  
السحاب ، فى مهارة وحسد عليها ..

ولكن قائد الطائرتين الآخرين ، لم يكونا أقل مهارة ، لذا  
فقد انخفضا بلوريهما ، واندغما خلفه ، بين التيارات الهائلة ..

وأطلق أحد الطيارين نيران الهليكوبتر ، نحو هليكوبتر  
(أدهم) الصغيرة . ولكن (أدهم) ارتفع بطائرتهم بفتة ،

ف تجاوزته الرصاصات ، وأصاب زجاج الطابق الثلاثين .  
لناطحة سحاب مقابلة ، فهدف الطيار الآخر فى زميله :

- هل جئنا يا رجل ؟ .. إنك ستقلب الدنيا فوق رؤوسنا ، لو  
أسببت متعباً واحداً .

أجاب زميله فى حلق ، صر جهاز اللاسلكى :

- أنتزكه بفلت إن ؟  
قال الأول فى حدة :

- بل تحاصره ، ونجبره على الهبوط .  
أجاب الثانى ، وهو يرتفع بطائرتهم خلف (أدهم) :

- تحاصره ١٢ .. إننى لم أر فى حياتى قلباً من هو أكثر منه  
مهارة ، وأدرة على المراوغة ، بطائرة بدائية كالتي يقودها .

قال الأول فى حزم ، وهو يرتفع بدوره :

- اضمن .. طائرتنا تفوقه قوة وسرعة وتجهيزاً .

ولكن (أدهم) عاد ينخفض بالهليكوبتر بفتة ، واتحدى ليمر  
بها بين ناظتى سحاب ، فى مهارة مذهشة . قبل أن يفتنى  
خلف عدد من تالطحات السحاب . فهدف أحد الطيارين ، وهو  
يحاول اللحاق به :

- كيف يفعل تلك الشيطان هذا ؟

لمضى به زميله ، وهو يقول :

- تست أبرى . ولكننا ستلحق به خلف هذه التيارات ، و ..

قبل أن يتم عبارته ، صاح به زميله :

= احترس .. إنه خلفك .

لتنقض الرجل فى دهشة ، وأدار رأسه إلى طائرة (أدهم) .

إنى دارت حول المبنى ، وباغتته من الخلف ، وهتف :

- كيف فعل هذا ؟

صاح به زميله ، وهو يستدير عاتذاً إليه :

- احترس .. إنه يصوب إليك نفسه .

هتف الرجل :

- منسسه ؟! .. أبواجه هليكوبتر مفتلة بمنس .

ولكن (أدهم) أطلق رصاصات منسسه ، وأصاب المروعة

الخلفية للهليكوبتر ، وخزلان الوقود . ثم انصرفا يختلن بين

تالطحات سحاب آخرين ..

واختل توازن الهليكوبتر . وراحت تدور حول نفسها في  
عنف . لصاح قائدها ، وهو ينزل كسارى جهده للسيطرة  
عليها .

- لقد أصابني ذلك اللعين .. سأضطر للهبوط .

مفت زميله في حلق .

- بأسفه محقا .

وترك زميله يهبط اضطراريا ، فوق سطح ناطحة سحاب  
قريبة ، والدفع خلف هليكوبتر (أدهم) ، ولحق بها في سرعة ،  
بفضل محركات طائرته القوية . وغتف :

- هيا .. اذهب إلى الجحيم .

وأطلق نيرانه على الهليكوبتر في غضب ..

وسمع (أدهم) صوت الرصاصات ، وهي ترتطم بجسم  
الطائرة ، فارتفع بها في حركة حادة عنيفة مباغتة ، اغتلتها  
جسم الهليكوبتر في صعوبة ، ودار دورة رأسية - العرة ،  
لينقش على الهليكوبتر الثانية من الجو ..

وسرة أخرى ، أطلق (أدهم) رصاصات ممسسه على  
الهليكوبتر الثانية ..

وصرخ الطيار :

- أوشيطان هذا ؟

كان (أدهم) قد أصاب محرك طائرته إصابة فادحة ، تضطره  
إلى الهبوط كزميله ، فمال نحو أقرب الأسطح إليه ، وهو يشعر

في أعناقه بمرارة شديدة ، غزاة الوحيد فيها هو خيط الدخان  
الأسود ، الذي ينبعث من هليكوبتر (أدهم) ، ويشك عن  
اضطرابها إلى الهبوط بدورها ..

وفي حلق وتوتر ، التفت الطيار سمع جهاز اللاسلكي ،  
وقال :

- لم نتمكن من الإيقاع بتلك الشيطان ، ولكنه مضطرب للهبوط  
في المنطقة المباحة .. حاصروا المنطقة كلها ، ولا تسمحوا له  
بالفرار .

أما (أدهم) ، فقد أدرك بدوره ضرورة الهبوط ، فانخفض  
نحو بناية قريبة ، وهبط على سطحها في رفق ، ثم قفز من  
الهليكوبتر ، وأسرع يستقل المصعد ، ويهبط بسبعة عشر  
دورا ، ثم اندفع نحو مدخل البناية ، حيث اعترضه حارسها  
الخاص ، هاتفا :

- من أنت ؟ وكيف صعدت إلى البناية ؟

أجاب (أدهم) في هدوء :

- ومن قال إنني صعدت إليها ؟ .. إنني أهبط فاصب .

قال الحارس في حدة :

- إنني أسألك جوابا واضحا .

قال (أدهم) :

- وقد منحك إياه .

استل الحارس ممسسه ، وهو يقول في صرامة :

- يبدو أنك تعيد إلى الأساليب العنيفة .  
 وكل (أدهم) الممنون من يد الحارس بحركة سريعة ، وهو  
 يقول :

- هذا صحيح ،  
 ثم هوى على فكه بكلمة قوية ، مستطرذا :  
 - نسوء حظك .

مكث الحارس فائد الوعي ، فتجاوز (أدهم) بقفزة رشيلة ،  
 واتجه إلى الباب وفتحه في مهارة ، ثم اندفع إلى الخارج ، في  
 نفس اللحظة التي برزت فيها سيارة الشرطة ، وهي تطلق  
 بوقها المميز ، وهتف أحد رجال الشرطة فيها :  
 - لقد يارجل ، وألا ..

استدار (أدهم) في سرعة إلى السيارة ، وأطلق رصاصاته  
 نحو إطاراتها ، قائلا في سخرية :  
 - وألا ماذا ؟

انفجر الإطاران الأماميين للسيارة ، وانحرفت في عطف .  
 لترتطم بالهريق مجاور ، وتلفز فوقه ، ثم تصطم بجدار المعبر  
 المواجه له . في حين انطلق (أدهم) مبتعدا ، وانحرف في أول  
 طريق جانبي ، واتجه نحو رجل يهيم بركوب سيارته ، وقال في  
 هتو :  
 - مغرة ياسيدي .. هل تؤمن على سيارتك ضد الحوادث ؟

أجابته الرجل في دهشة :



أما (أدهم) ، فقد أدرك بشدة ضرورة الهبوط ، فانخفض نحو بداية  
 قريبة . وهبط على سطحها في رفق ، ثم قفز من الهبوط بغير ..



- بالتأكيد .. لماذا تنال ؟

نفسه (أدهم) جانبًا ، وهو يقول :

- حتى لا يفتك بي تائب الضمير .

قفل داخل السيارة ، وأطلق بها ، مع ظهور سيارتي شرطة ، صاح بهما صاحب السيارة :

- النجدة .. إنه يسرق سيارتي .

تجاوزته سيارتا الشرطة ، وهما تتطلقان لمطردة (أدهم) ، الذي بدا أشبه بالصاروخ ، وهو يشق شوارع (نيويورك) المؤنسة بسيارة الرجل ، الذي راح يصرخ :

- لقد سرق سيارتي .. لماذا لا يستمع إلى أحد ؟

قفل (أدهم) سيارته فوق الإفريز ، وأطلق بسرعة كبيرة ، سيرا المارة على إصباح الطريق أمامه ، ثم لم يلبث أن تجاوزه ، وأتبع في شارع جانبي ، وسيارتا الشرطة تطاردانه في امتعته ، وأحد الضباط داخلها يقول عبر جهاز اللاسلكي :

- إنه ينطلق إلى المنطقة التاسعة ، عبر الشارع الخامس والثلاثين .. حاولوا اعتراض طريقه .

انطلق (أدهم) بسيارته عبر طرق متداخلة ، وكأنما يعرف طريقه جيدًا .. حتى بلغ شارعًا واسعًا ، يقود إلى الميناء مباشرة ، فزاد من سرعة سيارته ، وأطلق في قط مستقيم .. وقبلة راح له الكمين ..

كانت هناك سيارتان ضحكتان ، من سيارات الضلعين

المعلقة ، تعرضان طريقه ، وقد التفت مطمئنا ، ولم تتربعا بينهما سوى مساحة صغيرة ، لا تكفي هنا لمرور السيارة .. وكانت سيارتا الشرطة خلفه ..

وبدأ من أن يخطف (أدهم) سرعته ، رآه الجميع يندفع بكل قوته نحو الشاحنتين ، فهتف أحد رجال الشرطة في دهشة :

- ماذا يفعل هذا المجنون ؟ .. هل يزمع الانتحار ؟ ..

ولكن (أدهم) قفل بإطار السيارة الأيمن فوق صندوق صغير ، وهو ينير عجلة القيادة إلى اليسار ، فارتفع إطارها عن الجانب الأيمن ، وواصلت انطلاقها ، على جانبها الأيسر فصبا ..

وأمام العيون الذاهلة ، انطلقت السيارة في وضع شبه رأسي ، على إطارها الأيسرين فقط ، وعبرت تلك الفجوة الضيقة ، بين الشاحنتين ، ثم اعتذلت ، وارتطم الإطاران الآخرين بالأرض في عنف ، قبل أن تواصل انطلاقها ..

وتوقفت سيارتا الشرطة في عنف ، وصاح أحد ضباطهما :

- بالشيطان !.. كيف فعل هذا ؟

ثم اختطف مسنح اللاسلكي ، وقال في حدة :

- لقد نجا الشيطان مرة أخرى .. إنه يتجه إلى الميناء ..

خاضروه مرة أخرى . ولكن أطلقوا عليه النار مباشرة هذه المرة .

وانطفئ حريقه ، وهو يستكرد :

- ربما كانت هذه هي الوسيلة الوحيدة لإيقافه .

وانتهى الاتصال ، متعثرا :

- ربما -

أما (أدهم) ، فقد واصل انطلاقه بالسيارة نحو الميناء ، حتى رأى سيارتي الشرطة ، اللتين تعترضان طريقه ، وأمامهما عدد من الصنابير الفارغة ، يحتمس بها حشد من رجال الشرطة ، يصوبون بنادقهم إليه ..

ثم انطلقت البنادق كلها نحو سيارته ..

واشتعل جحيم حريقي .

\* \* \*



## ٩ - الفكرة المجنونة ..

كاد (فوستر) يستنيط غضبا ، وهو يقفص مستشفى السجن المركزي ، بعد كل مأساة (أدهم) فيها من تعار ، وبدا غضبه هذا واضحا في صوته ، وهو يقول لمدير المستشفى في حدة :

- نفس الشخص يقدحك موتين أبها المدير ١٢ .. ألا تشعر

بالعار ؟

هتف المدير في حق :

- وكيف لي أن أعرفه .. لقد جاء بلهجة مختلفة ، وصوت مختلف ، وهبة جديدة تماما ، حتى أن أمه نفسها لم يكن بإمكانها ترفقه .

صاح (فوستر) :

- هكذا ١٢ .. كنت أتوقع منك اغترافا صريحا بالفشل .

قال المدير غاضبا :

- وما شأنك أنت بالفشل والتراجع هنا ؟ .. لقد تبهنى ذلك الرجل ، أنا كان ، إلى حقيقة شديدة الأهمية ، فأنت ترتكب مخالفة دستورية شديدة ، بتعطيلك في هذا الأمر ، وسأبلغ الشرطة الفيدرالية بهذا .

صاح به (فوستر) :

- اقبل ما يحلو لك ، لو أنك ما زلت صليفا إلى هذا الحد ..  
انسيت يا رجل أن حماقتك تسببت في خسارتنا لجاسوس بالغ  
الأهمية ، بعد أن وضعنا أيدينا عليه .. إنك ستفقد وظيفتك على  
الأقل بسبب هذا .

شعب وجه العليز ، وقال في عصبية :

- لن أفقدها وحدي .

لوح (فوستر) بيده ، في حركة سوقية ، ثم أشار إلى  
(داني) ، قائلا :

- هيا يا (داني) .. ما زلت راتحة هذا المكان نصيبين  
بالفئان .

تبعه (داني) إلى الخارج ، وهو يقول :

- من الواضح أننا لا نواجه رجلا عاديا .

جلس (فوستر) داخل سيارته ، وهو يقول في توتر :

- لدى فكرة مجنونة في هذا الشأن :

سأله (داني) ، وهو يجلس خلف عجلة القيادة ، ويفير  
المعرك :

- ما هي ؟

صمت (فوستر) لحظة ، حتى انطلق (داني) بالسيارة ، ثم  
أجاب :

- لو افترضنا أن الملف ، الذي أعطانا إياه (إيزاك)  
صحيحا ، وأن (هانا) - في الواقع - فتاة مخبرات صربية ،  
فهذا يقودنا حتما إلى زميلها القديم .

سأله (داني) في اهتمام :

- من هو ؟

أجاب (فوستر) :

- شخص تعرفه جيدا يا (داني) .. اسمه (أدهم) .. (أدهم  
صبري) .

انتفض جسد (داني) في عنف ، وضغط فرامل السيارة  
بحركة غريزية ، فتوقفت في عنف ، قبل أن يهتف :

- (أدهم صبري) ؟ .. ولكن هذا مستحيل أيها الرئيس ..

لقد لقي (أدهم صبري) مصرعه ، منذ عام ونصف العام ، في  
صحراء (المكسيك) .. ولفاتنا تؤكد هذا تماما .

تهدد (فوستر) ، وقال :

- ألم أكل لك أنها فكرة مجنونة ؟

ثم انتقد حلجباء في حزم ، وهو يستطرد :

- ولكنها فكرة تستحق الاهتمام يا (داني) .. والمراعاة  
أيضا .

وعاد (داني) ينطلق بالسيارة ..

\*\*\*

انهبرت الرصاصات كالمنظر على سيارة (أدهم) .. إلا أنها  
واصلت طريقها بنفس السرعة ، وكأن شيئا لم يحدث . باستثناء  
أن (أدهم) قد خفض رأسه ، متقائما سبل الرصاصات ، الذي  
حطم مصابيح السيارة ، وزجاجها الأمامي ، قبل أن يصرخ أحد  
رجال الشرطة ، وهو يخفض بندقيته ، ويعدو مستظا :



- إنه مجنون حشاً -

تبعه زملاؤه في خوف ودهشة . والسيارة تنقض عليهم .  
وقال قائدها ببغى الانتحار ، أو لايهاب الموت قط ..

ثم قفز الاطاران الاساميان للسيارة فوق الصناديق ، التي  
كان يحتمي بها رجال الشرطة ، ووثبت السيارة عليها وثبة  
غلظة ..

وثبة جعلتها تطير فوق سيارتي الشرطة . اللتين تعترضان  
الطريق ، وتتجاوزهما ، تنهبط على اطاراتها خلفهما في عنف .  
ثم تتزلق لخطات ، توحي بأن قائدها يحاول السيطرة عليها في  
قوة . قبل أن توصل انطلاقها نحو الميناء ..

وفي دهول كامل ، حثق رجال الشرطة في السيارة المبتعدة .  
وقال أحدهم ، وفيه منلى دهشة :

- لقد فعلها .. لم أتصور أبداً أن هذا يحدث في الحقيقة ..  
كنت أظن أنه مجرد حيل سينمائية ، أو ..

قسطه رئيسه في حدة :

- لا تقلق قائدها هكذا يا رجل .. اسنقل سيارتك ، لنطارده هذا  
المجنون .

رفع الشرطي :

- مجنون ؟

وهز رأسه في استنكار ، ثم اسنقل سيارته . وانطلق مع  
السيارة الأخرى خلف سيارة (أدهم) ..

وبلغت المطاردة الميناء ، وشعر رجال الشرطة بالدهشة .  
عندما واصل (أدهم) انطلاقه بالسيارة ، نحو حاجز الميناء  
مباشرة ، وغنم (أدهم) :

- ماذا يتوى هذا المجنون ؟ .. هل يزمع الانتحار ؟

لم يكد ينطلقها حتى تفجّر الدهول في أعناقهم ، وضغط فرامل  
سيارته بكل مايملك من قوة وعنف ، وهو يخطى في سيارة  
(أدهم) ، التي ارتطمت بالحاجز ، وكفّزت في الهواء لعنة  
أمتار ، قبل أن تهوى إلى مياه المحيط ، وترتكب بها في عنف .  
ثم تغوص في أعناقها ببطء ..

وغادر رجال الشرطة سياراتهم ، واندفعوا حاملين أسلحتهم  
إلى الحاجز ، وتطلّعو مع عنف من عمال الميناء إلى مؤخرة  
السيارة ، التي ارتفعت إلى أعلى في هدوء ، ثم غاصت إلى  
الأعماق ، دون أن يظهر أنشأ أثر لقائهما ..  
وعانت مياه المحيط تجرى في هدوء ..

\*\*\*

دلى المقدم (أشرف) باب حجرة مدير التعافيرات العامة  
المصرية ، وانتظر حتى سمع المدير بدعوة للنفول ، فدفّع  
الباب ، ودخل إلى الحجرة في ارتباك وخيرة واضحين ، جعل  
المدير يسأله في قلق :

- ماذا هناك يا (أشرف) ؟

رفع (أشرف) ورقة أمام وجهه ، وهو يقول :

- لقد وصلتنا رسالة (فالكسبلي) من (المكشيك) (\*).  
أثارت دهشتنا وحيرة كثيرة، خاصة مع مقارنتها بملك الأخبار.  
التي أرسلها مندوبنا في (نيويورك)، على وجه السرعة.  
بدا الاهتمام البالغ على وجه المدير، وهو يقول :  
- أخبرني مالتيكيم - وربما أمكنني اعتماد ثوران دهشتكم  
وحيرتكم -

هـ (أشرف) راسه، وكأنما لم يستوعب الأمر بعد، ثم قال :  
- فلنبدا بالأخبار الواردة من مندوبنا في (نيويورك)  
ياسيدى، فهو يقول : إن شخصا مجهولا نجح في خداع حراس  
ومدير مستشفى السجن المركزي، وأخرج (حسام) من سجنه.  
هرب المدير من خلف مكتبه هاتفا في انفعال :  
- أخرج (حسام) !!

أوما (أشرف) برأسه إيجابيا. وقال :  
- ليس هذا فصب ياسيدى - لقد كشف مدير السجن زيف  
تلك الشخص المجهول - بعد أن غادر (حسام) المكان بالفعل،  
في سيارة إسعاف خاصة، تحمل شعار الشرطة الفيدرالية،  
وعلى الرغم من أن هذا الشخص كان داخل جنزان مستشفى  
السجن، عندما كشف أمره، إلا أنه نجح في بلوغ الغناء  
الخلفي، وفي الفرار بواسطة هليكوبتر طوارئ صغيرة.  
قامت خلف طائرتنا هليكوبتر مملكتين قويتين، ولكنه -

(ج) (فالكسبلي) وسيلة حديثة، لنقل الصور ورسائل، عبر أسلاك  
الهاتف.

تألفت عينا المدير، وهو يكمل في حماس :  
- ولكنه أسقطهما.

حقق (أشرف) في وجهه دهشة، ثم قال :  
- است أدري كيف أمكنك استنتاج هذا الأمر المذهل  
ياسيدى، ولكن هذا ما حدث بالفعل، فلقد نجح تلك الشخص  
المجهول، بواسطة هليكوبتر بسيطة، ومسلح عادي، في  
إسقاط طائرتي الهليكوبتر المسلحتين، وبمهارة مذهلة، حتى  
أن قائدتي الطائرتين أكدا أنه حتما طيار سابق، شارك في عدد  
ضخم من المعارك الجوية، حتى يمكنه اكتساب مثل هذه  
المهارة، في حين يصغر رجال الشرطة، الذين طارده فيما  
بعد، عبر شوارع (نيويورك)، عندما اضطر للهبوط  
بالحليكوبتر، وسرق سيارة قوية، أنه بظلال سباق سابق، لما  
أظهره من مهارة، في هذا المجال.

أزداد تألق عينى المدير، و (أشرف) يتابع في حيرة :  
- ولقد انتهت مطاردتهم له في الميناء، عندما فُز بسيارته  
إلى السحيط، وتصوير الجميع أنه لقي مصرعه غرقا، بلفل  
السيارة، إلا أن رجال الصفاد البشرية لم يعثروا على أدنى أثر  
له داخلها، أو في المنطقة كلها، مما يؤكد أنه قد غادرها حيا،  
وسبح تحت الماء لمسافة طويلة، مبتعدا عن منطقة الضلال  
كلها.

ارتفعت على شففى المعبر الهلوسة واسمة، وهو يقول :

- رابع -

ثم أثار إلى (أشرف) . واستطرد في حماس كبير :

- وما الذي وصلنا من (المسيك) ؟

ازدادت الحيرة في ملامح (أشرف) ، وهو يقول :

- إنها رسالة شفرية ، تقول : إن (حسام) في طريقه إلى

(القاهرة) ، على متن طائرة طبية خاصة ، وتطلب منا استقباله

في مطار (القاهرة) ، ونقله إلى المستشفى على الفور .

كاد بريق عيني المدير يضيء الحيرة ، وهو يسأل في لهفة :

- وأي توقيع تحصله هذه الرسالة ؟

هك (أشرف) رأسه ، وهو يقول :

- هذا ما أثار دهشتنا وحيرتنا ياسيدى .. إنها تحمل توقيع

(قبرى) ، كبير التزييف والتزوير .

اتسعت اتسامة المدير ، لتشمل وجهه كله ، وهو يقول :

- كنت أتوقع هذا .

سأله (أشرف) :

- هل تجد تلميذا لكل هذا ياسيدى ؟

قال المدير في حسم :

- بالتأكيد .

ثم سأل (أشرف) في حماس :

- أخبرنى أنت : كم رجلا تعرفه ، في حياتك كلها ، يمكنه

التفروج من سبع حصين ، كما لو كان ملهى ليليا موحشا ،

ويستطيع اسقاط طائرني هليوكوبتر بمسئس واحد ، ويثير

دغشة وذبول طاهم شرطة كامل ، ثم ينجح ، في الوقت ذاته ،

في اخراج شخص منهم بالتجنس ، من مستشفى السجن .

وارساله إلى (المسيك) ، ثم منها إلى (القاهرة) .

ترقذ (أشرف) ، قبل أن يقول في خلوت :

- ولكن هذا مستحيل ياسيدى !

قال المدير مبسما :

- إنك لم تجيب عن سؤالى بعد .. كم رجلا تعرفه ، يمكنه أن

يلعل كل هذا ؟

ارتجف صوت (أشرف) ، على الرغم منه ، وهو يقول :

- رجل واحد .

عالت عينا المدير تتألقان ، وهو يسأله :

- من هو ؟

ارتبك (أشرف) كثيرا هذه المرة ، ثم لم يلبث أن قاوم

مشاعره ، وأجاب ..

وارتجف صوته أكثر ..

\* \* \*

- أنهم صيرى .. -

تطلقها (فوستر) في عمى ، وهو يتطلع إلى (دافنى) ، الذى

خلق في وجهه مرة أخرى في ذبول ، وقال :

- مستحيل ياسيدى ! .. مستحيل !



مال (فوستر) نحوه ، وقال :

- أليكم تفسير آخر ؟

أجاب (داني) :

- ليس حتى الآن ، ولكن هذا لا يعني أن نلجأ إلى هذا الحل الخرافي .. لقد مات ذلك الرجل ، منذ عام ونصف العام .. والموتى لا يعودون إلى الحياة ..

هتف (فوستر) :

- من نواجه إذن ؟ .. ومن غير (أدهم صبرى) يمكنه أن يفعل كل هذا ، وبهذه الإجابة المدهشة .. أنت تعلم كم كان ذلك المصري يثير انتباهنا .. صحيح أننا لم نعرف بهذا في حياته قط ، ولكننا كنا ندرس أساليبه ، ونفرضها لرجالنا .. إنه طراز فريد من رجال المخابرات ، يستحيل تكراره ، فكيف تفسر وجود رجل يمتلك كل ما فعله خصمنا العالي ، لو لم يكن هذا الرجل هو (أدهم صبرى) نفسه ؟

هز (داني) رأسه في عله ، وقال :

- (أدهم صبرى) لغز مصرعه يأسئدى .. ولن يستكف اقتناعي بخلاف هذا .

تهدد (فوستر) ، وهو يشعل إليه لحظة ، ثم قال :

- يمكننا حسم هذا الأمر ..

سأله (داني) :

- كيف ؟

أجابه (فوستر) :

- سنطلب تقرير كمبيوتر ، عن تلك الجاسوسة ، التي نحتفظ بها في السجن الفيدرالي ، ولو وجدنا أن الملف ، الذي أحضره (إيزاك) صحيحاً ، فسيضمن هذا أن الفتاة مصرية . وسيعنى - لي أنا بالذات - أن خصمنا الحالي هو (أدهم صبرى) نفسه ، حتى ولو جاء ملك الموت نفسه ، ليؤكد لي أنني مخطئ .

أوما (داني) برأسه موافقاً ، وقال :

- فترة منطلعية وجيدة .

ثم اتجه إلى الباب ، مستطرداً :

- سأحصل على تقرير الكمبيوتر ، بأسرع ما يمكنني .

تركه (فوستر) ينصرف ، ثم التقط ملفه (منى توفيق) مرة أخرى . وقال محدثاً نفسه :

- إنه هو .. أراهن على هذا بحياتي كلها .

والتقط من الملف صورة الرجل ..

رجل المستحيل .

\* \* \*

ثم تد (منى) أبداً ، لملأ تعجز عن النوم ، داخل زنزانتها الضيقة ..

صحيح أنها تعشق الحرية ، وتبغض السجن كل التبغض ، إلا

أنها - تكثر - تحتاج حصناً إلى النوم ..

إلى وضع ساعدت منه على الألف ..

ولكنها لم تتم لحظة واحدة ، منذ وصلت إلى السجن التأسى  
الغديرالى ..

ولم تشعر بالأمان لجزء من الثانية ..

وربما كان هذا هو السبب ..

ربما تقضى النوم ..

نعم .. هذا هو السبب حتما ..

إنها تعلم أن لحظة نوم واحدة ، قد تساوى عمرها كله ..

ولكن البقاء مستوقفة إلى الأبد مستحيل ! ..

لقد قرأت مرة ، في موسوعة الأرقام القياسية ، أن شخصا

نجح في مقاومة اليوم لأربعة عشر يوما ، وربما أمكنها أن تبلغ

هذا الحد ..

هذا إذا استغرقت مشكلتها هذه الفترة فحسب ..

وتنهت في عمق ، وهي تستعيد نكزى لغائها بذلك المحاسن

في الصباح ..

لقد تصورت في البداية أنه (أنعم صبرى) ، وقد أتى إليها

متكررا ..

وعندما وقع بصرها عليه ، غوى قلبها بين قلميها بالفعل ..

كان طويلا ، عريض المتكبين ، مثل (أنعم) ، حتى لقد

تصورته هو ..

ثم كانت خيبة الأمل ..

إنه لم يكن سوى مخام ، استأجره شخص ما للفقاع عنها ،

وهذا الشخص قد يكون (أنعم صبرى) ، أو أحد أفراد الإدارة ..

ثم تمنى أن تراه ..

ثم تحلم بالقاء نظرة واحدة عليه ، وبغضائى يعينها أن تعيش

أو تموت ..

إنها لم تحب سواه ، فى عمرها كله ..

ولم تتجج فى نسيانه ..

لم تتجج فى هذا قط ..

إنها تعلم أنه تزوج (سوتيا جراهام) ..

وأنه أنجب منها ابنا ..

ولكنها تذكر جيدا كيف تم هذا الزواج ..

لقد تزوج (أنعم) (سوتيا) ، وهو يظنها هى ..

هذا عزاؤها للوحيد ..

ولكن لماذا لم يتخل عنها ، بعد أن استعاد ذاكرته ؟ ..

أسيب ابنه حقا ؟ أم لأنه قد أحب (سوتيا) ؟ ..

خلق قلبها فى ذكر ، عندما حالت تلك الفكرة بخاطرهما ..

مستحيل ! ..

مستحيل أن يكون قد أحب (سوتيا) ..

لأحد يعشق عشوه ..

ولكن (سوتيا) عشتته ..

هذا ممكن إذن ..

هزت رأسها فى عتب ، وكأنها تنفض عنها هذه الفكرة ..

(أنعم) يختلف حتما عن (سوتيا) ..

ما من شك فى هذا ..

التزعجها من أفكارها هذه المرة صوت أشبه بالصيح ، جعلها  
تعدل على فراشها في حركة خادة ، وتحقق في باب زنتائها ،  
الذي انفتح في هبوب ، دون أن يبدو أمامه أي مخلوق ..  
وحقق قلب (متى) في توتر وقلق ..

وتهمست تجلس على طرف فراشها ، وهي تبحث عن أي  
شء ، يمكن أن يصلح كسلاح ، في مواجهة أي خطر مباغت ،  
أو ...

مرت في جسدها ارتجافاً عنيفاً ، عندما برزت (سيرينا)  
أمامها بفتة ، وهي تمسك بقبضتها فراوة قسيوة سميقة ،  
وتبتسم في سفرة شامتة ..

ومن خلفها ظهرت امرأة ثانية ، وثالثة ، ورابعة ،  
وخامسة ..

وكلهن كن يحملن فراوات متشابهة ..

وفي بطن ، اتجهت النساء الست نحوها ، و (سيرينا)  
تقول :

- استعدى يا فتاتي .. حانت لحظة الموت .. موته ..

وبدا الهجوم ..



التزعجها من أفكارها هذه المرة صوت أشبه بالصيح ، جعلها تعدل على  
فراشها في حركة خادة ..



## ١٠ - الضربة ..

لم يكد (قدرى) يهبط ، فى مطار (نيويورك) . حتى استقل أول سيارة أجرة صافته ، وانطلق بها إلى تلك المنزل الأمن ، الذى استأجره مع (أدم) ، عند وصولهما فى المرة الأولى إلى (نيويورك) . ولم يكد يبلغ المنزل ، حتى سعد فى درجات سلمه فى لهفة ، ومن مفتلحه فى ثقب الباب ، وأداره فى انفعال . ثم دفع الباب ، واندفع إلى الداخل ، و...

وتجنحت أطرافه كلها ، علما رأى قوة المسلس المصنوعة إلى رأسه ، ثم لم يلبث أن هتف :

- (أدم) ! .. كاد قلبى يتوقف بسببك .

أعاد (أدم) مسنسه إلى عنقه ، وهو يبتسم قائلا :

- هذا لله على سلامتك بأصديقى .. هل أدبت مهمتك فى (المكسيك) ، على خير وجه ؟

جلس (قدرى) ، وهو يقول فى حماس :

- بالطبع .. لقد استأجرت طائرة طبية خاصة ، باسم (دافيد كاهان) ، والمفروض - طبقا للمسجل فى الشركة التابعة لها - أنها ستجبه إلى (إسرائيل) . وسبقتم الطيار على هذا ، بعد أن حصل على تلك المبلغ المنفى ، مع وعد بالحصول على مبلغ مماثل ، بعد عام كامل ، لو قلل الأمر سُرًا .

أوما (أدم) برأسه ، قائلا :

- عظيم .

سأله (قدرى) فى لهفة :

- وماذا عن مهمتك أنت ؟ .. لقد شاهدت نشرة الأخبار ،

وأعندنى ما فعلته كثيرًا .. لقد عدت يكامل فورك بأصديقى .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

- إننى أفصد مهمتك الأخرى بالطبع .

ابتسم (أدم) ابتسامة باهتة ، وقال وهو يفرج من جيبه

بطاقة مغناطيسية صغيرة ، ويحدها إلى (قدرى) :

- كانت مهمة أثيقة مخلوذة . ولست أدرى لماذا لم لنقم

بمثلها من قبل .

أجابه (قدرى) فى ارتياح :

- لم أكن قد توصلت بعد إلى الوسيلة المثلى ، لتزويد تلك

البطاقات المغناطيسية المعقدة .

أجابه (أدم) بابتسامة هادئة :

- ومن الواضح أنك نجحت فى عملك للغاية ، فلقد ساعدتني

هذه البطاقة على شق طريقى بمنتهى البساطة ، إلى قاعدة

المعلومات . فى قلب المبنى الرئيسى للمقابرات المركزية

الأمريكية ، دون أن يستوقفنى شخص واحد .

فقهقه (قدرى) ضاحكا ، وقال :

- هذا يثبت أن الثقة فى وسائل الأمن من أخطر الأخطاء .

غمغم (أدهم) :

- هذا صحيح .

سأله (قدرى) فى اهتمام :

- وماذا فعلت هناك ؟

أجاب (أدهم) فى هدوء :

- وضعت مفاجأة لصديقنا (فوستر) ، عندما يحاول البحث

عن تقرير كمبيوتر بدين (منى) .

هل (قدرى) رأسه فى أعجاب ، ثم سأل (أدهم) بفتة فى

اهتمام :

- أخبرنى يا (أدهم) .. لماذا سميت لاطلاق سراح (حسام) ،

وأعادته لـ (القاهرة) ، قبل أن تفعل هذا مع (منى) ؟ .. مغيرة ،

ولكننى تصورت أنك ستخرج فى البداية لإطلاقها .

أجاب (أدهم) فى بساطة :

- (حسام) فاقد الوعي ، وقد يمكن استرجاعه ، أو الحصول

سنة على معلومات تكين (مصر) .. لذا كان من الضروري أن

أبعد عن متناول أيديهم ، قبل أن أشرع فى عمل جاد .

هنا (قدرى) :

- عمل جاد ؟ .. وماذا تسمى كل مافعلته حتى الآن

بارجل ؟ .. معابة ؟

لوح (أدهم) بكفه ، وقال :

- لا تنس أننا مازلنا تجهل أين يشتغلون .. (غارولد) ، ثم

لتنى لم أواجه (فوستر) بعد .

سأله (قدرى) :

- وهل يعنى هذا الكثير ؟

أجاب (أدهم) فى حزم :

- بالطبع يا صديقى .. إنه يعنى أن اللعبة الحقيقية لم تبدأ

بعد .

رند (قدرى) :

- اللعبة ؟

ثم قهقه ضاحكا ، قبل أن يستطرد :

- مازال أسلوبك بشير إعجابى واستمعاى يا (أدهم) .. إنك

تدير الأمور كالأيام الخوالي ، وتتلق بسكاه ، ليسر كل شيء

على ما يرام .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفתי (أدهم) ، وهو يقول :

- إنها تقود (سونيا جراهام) .. من سفيرة القدر أن تدفع

(سونيا) - دون أن تدري - ثمن إنقاذ رجالنا ، وإدانة بولتها ..

بدا الجد على وجه (قدرى) ، وهو يقول :

- بمناسبة الحديث عن (سونيا) .. لقد رأيتها تهبط

بظانيتها الخاصة هنا ، فى (نيويورك) .. عندما كنا نرحل إلى

(المكسيك) .

انمقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يقول :

- رأيتها .

ثم هب من مقعده ، وقال :

- يخجل إلى أنني أعلم جيدا ما الذي ستفعله (سونيا) ، لو  
ما الذي تنوي أن تفعله ، وهذا يعني أن الأمور ستختلف كثيرا  
عما كنا نتوقع باصديقي ، ويعني أيضا أن اللعبة الحقيقية ينبغي  
أن تبدأ في وقت مبكر .

واكتسى صوته بالحزم والصرامة ، وهو يتابع :

- ينبغي أن تبدأ الآن .

وأدرك (قدري) أن الساعة قد حانت ..

ساعة القتال ..

\*\*\*

اقتحم (ناتى) حجرة (فوستر) في القفال شديد ، وهو  
بهتف :

- لقد أحضرت تقرير الكمبيوتر أيها الرئيس .. لن تصنف  
أيذا ما جاء فيه .

اعتدل (فوستر) ، وقال :

- أعطني إياه يا (داني) .

ناولته (داني) التقرير ، فاقبضه (فوستر) في لهفة ،  
وظالعه في اهتمام بالغ ، قبل أن يرتفع حاجبناه في دهشة  
شديدة ..

كان التقرير يحمل صورة (مضى توفيق) ، وأسفلها عبارة  
تقول : إنها لا تنتمي إلى المخابرات المصرية ، بل إلى  
المخابرات الإسرائيلية ، وأنها تحمل اسم (هانا دايان) ، من  
قسم العمليات الخارجية الخاصة ..

وبرقت عيننا (فوستر) في شدة ، وهو يقول :

- هذا آخر ما كنت أتوقعه بالفعل .

ثم القى التقرير على مكتبه ، ودأب ذقنه بأصابعه ، وهو  
بعدد حاجبيه في تفكير عميق في عين هتف (داني) في  
حماس :

- لقد أوقفنا بالإسرائيليين هذه المرة .

أشار (فوستر) بسياسته ، وقال :

- ليس بعد .

هتف (داني) في دهشة :

- كيف ؟! .. إنك تسمك بينك قليل (داكتير أيها الرئيس

رفع (فوستر) عينيه إليه ، وقال :

- ولكن أشك لا يزال يعرِد في أعصابي يا (داني) .

سأته (داني) في قلق :

- لماذا يا سيدي ؟

مط (فوستر) شفتيه في صمت ، ثوب أن يجيب بحرف  
واحد ، وتابع مداعبة ذقنه بأصابعه ، ثم اعتدل بغتة ، وقال :

- احضر تلك الجاسوسة يا (داني) .

بوغت (داني) بالقول ، فترجع في دهشة ، وقال :

- ماذا تعني بأحضارها يا سيدي ؟

أجابته (فوستر) ، في اهتمام بالغ :

- أخرجها من سجنها ، وأحضرها إلى هنا .. سنضعها في  
سجن خاص ، تحت حراسة بشرية وإلكترونية مشددة



سأله (داني) :

- لماذا ؟

أجاب (فوستر) ، وهو غارق في تفكير عميق :

- لأن كل شيء لا يروق لي يا (داني) .. إننا نتعثر في دليل

بين الأسرانيين ، كلما خطونا خطوة واحدة إلى الأمام ، وهذا

لا يبدو طبيعياً ، فليس من عادة الأسرانيين أن يبتلعوا كل هذا ،

من أجل رجالهم .. على الأقل ليس بهذا الوضوح ، ولو أنني في

موضعهم ، لتصرفت على نحو مختلف تماماً ، ولاخترت مثلاً

محباً آخر ، لابتني إلى المعبد اليهودي ، فالفتاة تجيد عدة

لغات ، وليست هناك ضرورة ملحة ، للتحدث إليها بالعبرية .

وداعياً ملف (مضى) بأصابعه ، قبل أن يتابع :

- ولكن الشيء الواضح للغاية ، في اللعبة كلها ، هو أن

خصمنا الشيطان هنا ، سيبدل أقصى جهده ، في محاولة انتقاد

رسيلته من السجن ، إذا فسنصل على جعل مهمته أكثر تعقيداً ،

عندما يحاول هذا .

قال (داني) :

- لو أنني في موضعك لفعلت العكس بأسبدي ، ولجعلت

مهمته تبدو أكثر سهولة ، حتى يمكنه الوقوع في الفخ .

ابتسم (فوستر) ، وقال :

- بل إنني أجد اللعبة أكثر إثارة ومتعة ، فلو أن خصمنا ،

هو نفس الشخص الذي أتوقعه ، فإن يحول سجننا الخاص بيته

وبين صديقه ، بل سيدفعه للتعدى إلى القوم إلينا بنفسه ،

وعندئذ نضرب عصفورين بحجر واحد .. بل ثلاثة عصفورين

يا (داني) ، فسنحتفظ بالفتاة ، ونكشف حقيقة اتزانها ، ونوقع

بزميلها في الوقت نفسه .

هز (داني) رأسه متفهماً ، وقال :

- ولكن إحصار الفتاة من سجنها إلى هنا ، يحتاج إلى موافقة

خاصة ، من القاضي الفيدرالي ، ولن يسمح لنا القاضي بهذا أبداً ،

فليس من حقنا نستورياً ، التدخل في الأمور الداخلية للبلاد .

قال (فوستر) في صرامة :

- اصنع موافقة مزورة .

اتسعت عينا (داني) في دهشة ، وقال :

- مزورة ؟

أجاب في حزم :

- نعم يا (داني) .. إذهب إلى السجن بموافقة مزورة ،

واحضر الفتاة إلى هنا الليلة .. هل تفهم ؟

اعتقل (داني) ، وقال :

- نعم .. أفهم أنها للرئيس .

وغير المتكاثرة أن يضرب حرفاً واحداً ، في حين فتح

(فوستر) ملف (مضى) مرة أخرى ، والنقطة منه صورة (لهم

صيري) ، وقال :

- أعلم أنك تحب مثلي أنها المعصية ، ولو أنك على قيد

الحياة ، كما أتوقع ، فسيبقى هذا أن المعركة بيننا سنحتكم أكثر وأكثر ، ومستصبح مثالية ، كما نقول كتب المقابر .. ستكون معركة ثغالب ، يفوز فيها الأنثى ، والأقوى والأبرع .. ثم ارتسمت على شفوية ابتسامة واثقة ، وهو يستطرد :  
- سيفوز فيها الثعلب .. الثعلب الحقيقي ..  
واتسعت ابتسامته أكثر ..

\*\*\*

لم تلقد (منى) أصابها . عندما انقضت عليها (سيرينا) رافعاتها . وهن يحاولن قتلها .. كانت قد واجهت مع (أدم) مواقف أشد هولاً من هذه . فلماذا ترتجف أمام ست نساء ؟ ..

وبكل الكراهية والعنف قس أعماقها ، هوت (سيرينا) على رأس (منى) بضربة عنيفة . ولكن (منى) نغابت الضربة في مهارة . وأصابته انف (سيرينا) بكلمة مباشرة . ثم انتزعت منها الهراوة . وهوت بها على رأسها ..

وأطلقت (سيرينا) صرخة ألم ، والنساء تتفجر من أنفها ورأسها . ولكن (منى) لم تضع لحظة واحدة . بل دقت أمامها في قوة .. لتضرب بها زميلاتها . وتلقهن جميعاً خارج زنازينها ..

وسقطت النساء الست خارجاً . وحاولت (سيرينا) أن تنهض ، وأن تصرخ :

- أيتها الحفيرة الـ ..

ولكن (منى) أخروستها بركلة عنيفة في فخذها ، وأزاحتها عن طريقها . ثم هاجمت النساء القس الأخريات .. وبضربة قوية . أطاحت (منى) بهراوة إحدى النساء . وحطمت أسنان الثانية بضربة أخرى . وقفزت تتلادى ضربة تالئة ..

ولكن الرابعة أصابت هدفها ..

ضربة هراوة عنيفة . أصابت (منى) في ظهرها ، ودقتها نحو حاجز شرقه الطابق الثاني ..

وتشبثت (منى) بالحاجز ، واستدارت تواجه النساء مرة أخرى . ولكنها تلقت على ذراعها ضربة ثانية ، أكثر عنفاً من الأولى . فطوحت هراوتها بون هفك . وطرق ساعدها صوت عظام تتكسر . وصرخة ألم عنيفة . قبل أن تتلقى ضربة تالئة في مهبها ..

واحتلمت (منى) آلام الضربات في قوة . وضربت أقرب النساء إليها بهراوتها في عنف أشد . ثم ابتعدت تتلادى ضربة رابعة . وطوحت هراوتها في وجه امرأة أخرى ..

كان قتالاً وحشياً عنيفاً ، أشبه بقتال الوحوش المفترسة في الغابات والبراري ..

أو بعض أبق . كان قتال شوارع ، كما يطلقون عليه في (أمريكا) ..

والأمريكيون يستعملون هذا المصطلح ، لوصف القتال  
النهجي ، الذي يدور بين أطراف شرسة ، دون قواعد أو  
قوانين ..

وهذا يختلف كثيرا عن القتال الرسمي المنظم ، أو الفنى  
المعروس ..

إنه قتال بلا هوادة ..  
وبلا رحمة ..

وعلى الرغم من أنهال الدم ، التى سالت من الأوف  
المحطية ، والأسنان المكسورة ، وعلى الرغم من أصوات  
الناوطات والصرخات ، التى جلبت فى المكان ، لم يظهر  
حارس واحد من حراس السجن ..

وكانت (منى) تعلم أنهم لن يظهروا أبدا ..  
إلا لرفع جثتها ..

وهذا ما زادها قوة وعظما ، وساعدها على أعمال الضربات  
القوية ، وألام ضلعها المحطم ، وتراعى التى أصابتها ثلاث  
ضربات خفيفة قاسية ..

ربكل قوتها ، راحت تضرب وتضرب وتضرب ..

والعقيب أن النصر لاح لها ، بأكثر مما لاح للأخريين ..

والعجب أن النساء تراجعن أمامها فى ذعر ..

لقد أصابت ضرباتها أهدافها فى قوة ..

ومن بعيد ، تفجرت كراهية (هوى) أكثر ، مع انتصار (منى)

الواضح ، فصطعت فى مرارة ..

- لايتها الجاسوسة .. لن تلتقى من انتقام (هوى) أبدا ..  
ثم أخرجت نفسها ، وصوبته إلى (منى) فى إحكام ، وهى  
تكرر :

- أبدا ..

وضغطت زناد مسننها ..

وأصابت هدفها ..

أصابت (منى) ..

\*\*\*





## ١١ - الوحوش ..

لم يصفق (حسام) نفسه ، عندما فتح عينيه . واستعاد وعيه ، ليجد نفسه راغداً في حجرة العناية المركزة . في مستشفى (مصري) ، وأمامه يقف مدير المقابر المصرية ، الذي ابتسم قائلاً :

- حمداً لله على سلامتك .

- هتف (حسام) في دهشة :

- كيف جئت إلى هنا ؟

- أجابه المدير مداعباً :

- بالطائرة .

- سأله (حسام) :

- أعني كيف خرجت من مستشفى المسجون ؟

- قال المدير في اهتمام :

- كنت أتمنى أن تجيب أنت عن هذا السؤال .

- لوج (حسام) بكفه ، وقال :

- ولكنني أجهل هذا تماماً .. كل ما أذكره هو أن ..

بئر عبارته بقعة ، واتخذت عابداً في شدة ، ثم هز رأسه في

خوف ، وقال في توتر :

- لا .. مستحيل !



لم أخرجت من سجنها ، وصوبته إلى (مصر) في احكام . وهي تكرر :  
- ايذا .

سأله المدير في اهتمام أكثر :

- ما هو هذا المستحيل ؟

تردّد (حسام) لحظة ، ثم عاد بهزّ رأسه ، قائلاً :

- إنه حلم حتماً .

قال المدير في صرامة :

- قصّ على حلمك هذا إذن .

تفهد (حسام) ، وقال :

- إنه أمر مستحيل الحدوث ، فقد حلمت أنني التقيت

بالأسطورة .

عقد المدير حاجبيه ، وهو يغمغم :

- الأسطورة ؟

أجابته (حسام) :

- أليس (ن - ١) .. (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

برقت عينها المدير في شدة ، وهو يقول :

- التقيت بـ (أدهم) ؟

ثم جلس على طرف فراش (حسام) ، وقال في انفعال :

- قصّ على كل ما حدث .. هيا .

هزّ (حسام) رأسه ، وقال :

- إنه حلم حتماً ، لقد كنت أفكر فيه طيلة الوقت ، وأحاول بلوغ

لغزّه ، حتى يفتكّن العصول على قلبه ، ولا ريب أن رغبتى

النجاسة هذه قد ترجعت إلى تلك الحلم ، الذى رأيت فيه .

قال المدير فى ضيق :

- اترك لى تفسير الأمور ، وقصّ على مالكه فحسب .

لوح (حسام) بكفيه لحظات فى صمت ، ثم قال :

- لم يكن على تلك الهيئة ، التى نعرفه بها ، وإنما كان أشعر

الشعر ، أقرب العينين .

ابتسم المدير ، وقال :

- (أدهم) له ألف وجه .

تابع (حسام) ، وكأنه لم يسمع العبارة :

- وثق قدّم لى نفسه ، وأجاب عن دهشتى ثرويته . بأن

ليقله على قيد الحياة قصة طويلة ، سيقصّها على قىما بعد ، ثم

طلب منى أن أقصّ عليه كل تفاصيل المهمة . وعلمنا لائحة

تشككى فى شخصيته أخبرنى باسمك ياسوى . وبموقع الإدارة

الفعلى ، ثم بالرقم التكوى لفتح ملفات الكمبيوتر ، الذى

لا يعرفه سوى عدد قليل من رجال الإدارة ، فنأقنت من حقيقة

شخصيته ، ورويت له كل مالدق . ثم فكتت بعدما الوعى .

احتل المدير ، وأغلق عينيه فى قوة ، وزفر فى ارتياح ، قبل

أن يقول :

- إنه حق .

حنق (حسام) فى وجهه بنفثته . وقال :

- من هذا ؟

أجابته المدير فى سعادة واضحة :

- (أدهم صبرى) -

تحوّلت نغمة (حسام) إلى زهول استمر لحظات - قيل أن  
يقول في حدة :

- مستحيل يا سيدي !

تجاهله المدير تماما - وهو يقول :

- مازال يعمل من أجل (مصر) :

ثم التفت إلى (حسام) بفتة - وقال في قلق :

- ولكن ظهّور (أدهم) الآن بالغ الخطورة -

رند (حسام) في نغمة :

- حقا ؟

أجاب المدير في حماس :

- بالطبع ، فلو عرف خصوصاً أن (أدهم صبرى) حى ، وأنه

هو الذى أخرجك من السجن ، فسرعان ما هذا إلى حقيقتنا ،

والى أنك مصرى الجنسية .

رند (حسام) مرة أخرى :

- حقا ؟

كان يشعر بحيرة عقلية من موقف المدير ، الذى عاد إلى

ارتياحه ، وهو يتابع في ثقة :

- ولكن ظهّور (أدهم) يعنى أن العملية ستخذ الآن أبعادا

جديدة -

والنقط تلتسا عبقا ، قبل أن يتصيف :

- راقية -

\* \* \*

ضرب (إيزاك راهوذا) سطح مكتبه يقبضته في عصف  
غاضب ، وهو يقول لأحد رجاله :

- لابد أن تكشف استمار عن هؤلاء المصريين ، وأن نقض

أمرهم .. إنهم يحاولون توريثنا في الأمر ، ووضعنا في صورة

من يتجنس على الأمريكين .

ابتمم الرجل ، وقال :

- ولكننا نفعل هذا بالفعل ، قلنا عدد من جواسيسنا هنا .

صاح (إيزاك) :

- ليس بصورة واضحة .. إننا نريد إخفاء جواسيسنا .

ثم عاد يفر في غضب ، مستطردا :

- وسالكن (جيمس) ترمنا قاسيا ، نوافقه ضحنا على هذا

التحو .

سأله الرجل الواقف إلى جواره في هدوء :

- المهم ماذا تفعل ؟

أجاب (إيزاك) :

- أريد منك أن تجمع لى أكبر قدر من المعلومات ، حول ذلك

الشيطان ، الذى أخرج جاسوس المصريين من السجن -

عقد الرجل حاجبيه ، وقال :

- وكيف يمكننى جمع المعلومات عنه ؟

لوح (إيزاك) بفراعه في حق ، ملتقا :

- افعل كل مايمكنك .. المهم أن تتجسس -



ابتسم الرجل وقال :

- سأحاول -

قبل أن يضيق كلفة واحدة . ظهر رجل آخر من رجال  
(إيزاك) . وقال :

- هناك سيّد تطلب مقابلتك أيها الرئيس .

عقد (إيزاك) خطيبه ، وقال :

- سيّد ١٩ .. كيف تبدو ؟

أطلق الرجل صفيرا طويلا ، وقال :

- ملكة جمال

أزداد انعقاد حاجبي (إيزاك) . وقال :

- ما اسمها -

أوجس - (سونيا) تتجاوز الرجل ، وتكلف إلى الحجرة ،  
قائلة :

- شيف حالك يا (إيزاك) .. كنت واثقة من أنك مارلت تحتل  
المتعصب نفسه .

غضب (إيزاك) .

- (سونيا) !! .. رأتها من مفاجأة ؟

أسرع إليها بصافحها في حرارة ، وقادها إلى مقعد وثير .  
وهو يقول :

- مضى زمن طويل . منذ التقينا آخر مرة ، ومن الواضح أنك  
تزددين قسوة وجمالا .

جلست (سونيا) على المقعد ، ووضعت إحدى ساقيها فوق  
الأخرى . وهو يقول في لهجة صارمة :

- لن نضيع الوقت في الحديث عن جمالي وفتنسي  
يا (إيزاك) ، فمن المؤكد أنني لم أقطع كل هذه المسافة ، لأستمع  
إليك ، وأنت تقايلني على هذا النحو الفج .

ابتسم (إيزاك) . وقال :

- ومن يملك مقاومة فتنتك يا (سونيا) ؟

لاحظ غضبها . فاستترك في سرعة :

- ولكن دعينا نتحدث عما أتيت من أجله

مالئت نحوه . وقالت :

- إنني أحمل لك مفاجأة !

بدا الاهتمام على وجهه ، وهو يقول :

- أية مفاجأة ؟

تنهت في عني ، وقالت :

- تعاسك جيّفا ، فما سأخبرك به ، سيجعل قلبك يتوقف . من  
فرط الاتقان والمفاجأة .

انعقد حاجباه أكثر وأكثر . وهو يقول :

- إلى هذا الحد ؟

مالئت نحوه أكثر ، وقلت :

- استمع إليّ جيّفا .. إنني هذا أخبريك باسم زوجي .

غلبت في دهشة :

« زويك »

أولت برأسها إيجاناً - وفترجت شفتاها لتكشفها المر ، الذي  
سيقلب الأمور كلها رأساً على عقب ..  
سر (أدم صيرى) ..  
رجل المستحيل ..

★ ★ ★

انتهى الجزء الثاني بحمد الله  
ويليه الجزء الثالث  
( خط المواجهة )